

## الفصل الثاني

ويشتمل على بحثين:

البحث الأول : الصحيحان.

البحث الثاني : السنن الأربعة.

ولنبداً بالتعريف بشيخ الحفاظ وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ألا وهو:

### البحث الأول: الصحيحان

#### الإمام البخارى

نسبه ونشأته:

وهو أمير المؤمنين فى الحديث الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة<sup>(١)</sup> الجعفى ولأء حيث أسلم جده المغيرة على يد اليمان الجعفى وإلى بخارى فانتمى إليه بالولاء، البخارى مولداً.  
ولد أبو عبدالله بمدينة بخارى إحدى مدن ما وراء نهر جيحون على بعد ثمانية أيام من سمرقند من بلاد فارس.

وكانت ولادة البخارى بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة<sup>(٢)</sup>. وكان والده ورعاً تقياً ومحدثاً فاضلاً. كما كان ثقةً ترجم له ابن حبان فى كتاب الثقات كما ترجم له ولده فى التاريخ الكبير. وقد خرج إسماعيل حاجاً قبل سنة ١٧٩ هـ وتقابل مع إمام المدينة مالك بن أنس وحدث عن أبى معاوية بن صالح وجماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين وبلغ إسماعيل فى ورعه درجة عالية، فكان يبتعد عن الشبهات وثروته الطائلة التى جمعها نقيه خالصة استثمرها فى الخيرات، روى عنه أحمد بن حفص قال: دخلت عليه عند موته فقال: لا أعلم فى جميع

(١) بردزبة: كلمة فارسية معناها الزارع أى الفلاح أو البستاني.

(٢) وفيات الأعيان ج١ ص ٥٧٦ ومقدمة فتح البارى ص ٤٧١١.

مالى درهما من شبهة ، فتصاغرت إلى نفسى<sup>(١)</sup> وفى بيئة الطهر والورع والدين والدنيا استقبل بيت الحديث والنعمة محمد بن إسماعيل وقد لبث الوالد قرير العين بابه إلى أن عاجلته المنية فترك ابنه طفلا صغيرا فكفلته أمه وقامت بتربيته ورعايته وعقدت عليه أسمى الآمال ، ثم وجهته إلى التعليم لينسج على منوال أبيه ويستفيد مما خلفه من ثروة العلم فاتجهت به إلى الكتاب ليحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف وما أن بلغ البخارى العاشرة من عمره إلا وألهمه الله حفظ الحديث الشريف فى هذه السن المبكرة مما يدل على ما وهبه الله له من قدرة فائقة فى الحفظ وقريحة وقادة فيه ، يقول محمد بن أبى حاتم وراق البخارى : سمعت البخارى يقول : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب ، فقلت : كم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال : عشر سنين أو أقل<sup>(٢)</sup> ولهذا النبوغ الهائل انطلق البخارى فى سن الحادية عشرة قاصدا أئمة الحديث لينهل من مواردهم يساعده على ذلك عقلية واعية وحافضة قوية ، ومما يدل على نبوغه العلمى ما تحدث به عن نفسه فى هذه المرحلة : (ثم خرجت من الكتاب فجعلت اختلف إلى الداخلى وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ الناس : سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم ، فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرنى فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك فدخل فنظر فيه ثم رجع فقال : كيف هو يا غلام؟ ، فقلت : هو الزبير وهو ابن عدى بن إبراهيم ، فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لى : صدقت ، قال : فقال له إنسان : ابن كم حين رددت عليه؟ فقال : ابن إحدى عشرة سنة)<sup>(٣)</sup>.

### منهج البخارى فى طلب الحديث:

ينحصر منهج البخارى فى طلب الحديث فى أمور ثلاثة الأول : العناية بالسند والمتن ، والثانى : رحلاته العلمية ، والثالث : حفظه ومعرفته بعلوم الحديث.

#### ١- العناية بالسند والمتن:

أما بالنسبة للأول فمنذ اتجه البخارى إلى طلب الحديث وهو يعنى بالإسناد فعرف الرجال وتواريخهم وأحوالهم ، وعنى بالمتن وأصوله وكان لا يروى الموقوف الذى روى عن الصحابى أو المقطوع الذى وقف على التابعى إلا إذا كان له أصل من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة المسندة ، يقول سليم بن مجاهد : كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال : لو

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكي ج٢ ص٢١٣ .

(٢) النكت لابن حجر ص٧ مخطوط بمكتبة الأزهر .

(٣) مقدمة فتح البارى ص ٤٧٩ ، الطبقات الكبرى لابن السبكي ج٢ ص٢١٦ .

جئت قبل لرأيت صيبا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت حتى لحقته فقلت له : أنت تحفظ سبعين ألف حديث؟ قال : نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولى من ذلك أصل أحفظه من الكتاب أو السنة<sup>(١)</sup>. وهكذا هيأته عناية الله وتوفيقه لسلوك طريق العلم منذ صغره على أساس متين مع الاستعداد الفطرى والعقلية الحادة مما جعل لمروياته الثقة المتوفرة كما أعانه على تحصيل العلم واستيعابه ما تركه والده من التراث العلمى النافع فظل يحفظ ويناقش ويطلب العلم حتى ذاع صيته وأصبح موضع الإعجاب من شيوخه ، وما أن بلغ من عمره ست عشرة سنة إلا وحفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف مذاهب أهل الرأى وكلامهم.

## ٢- رحلاته العلمية:

أما عن رحلات البخارى فى طلب العلم فقد كابد الأخطار فى رحلاته وبذل كثيرا من الجهود المضنية فى طلب العلم وتحرى الأحاديث الصحيحة ولم يكتف البخارى فيما يرويه على ما جمعه من أحاديث بلده الذى يعيش فيه وإنما هاجر ورحل إلى كثير من البلاد يجالس المحدثين والحفاظ ليأخذ عنهم ويسمع منهم ولم يأل جهدا فى استيعاب ما عند المحدثين حتى جمع الكثير من الحديث. وقد حفزه إلى الرحلة ما وفقه الله تعالى إليه من إلهامه الصواب وتذليل طرق البحث والتعليم، وما كان يستشعره فى نفسه من نهم علمى وطموح مبكر وتوجيه سديد. وقد ابتدأ البخارى رحلته بمكة المكرمة مهبط الرسالة ليؤدى فريضة الحج فخرج هو وأمه وأخوه أحمد سنة عشرة ومائتين ٢١٠ هـ وأقام البخارى بمكة يطلب العلم ورجع أخوه أحمد إلى بخارى، وفى مكة سمع من أبى الوليد أحمد بن محمد الأرزقى وإسماعيل بن سالم الصايغ ثم اتجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة دار الهجرة، وفى رحاب المسجد النبوى وبجوار صاحب الرسالة ﷺ بدأ البخارى تأليف ما وفقه الله إليه فنصف قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ الكبير، قال البخارى: فلما طعنت فى ثمانى عشرة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ فى المدينة عند قبر النبى ﷺ وكنت أكتبه فى الليالى المقمرة وكل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت أن يطول الكتاب «أ.هـ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى لابن السيكى ج٢ ص٢١٨.

(٢) هدى السارى ص٤٧٩.

ومكث البخارى فى المدينة سنة ثم رحل بعدها إلى البصرة وأقام بها خمس سنين وكان يتردد منها على مكة أيام الحج، يقول البخارى «دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات وأقيمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين»<sup>(١)</sup>. وهكذا طوف البخارى فى سبيل العلم فى أقطار شتى فمن مكة إلى المدينة والشام وبغداد والبصرة والكوفة ومصر وبخارى ومرو ونيسابور وقيسارية وعسقلان وحمص وخراسان وكان لهذه الجهود التى بذلها من الأهمية ما يعطينا الثقة الكاملة بمروياته، يقول البخارى: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر ما عندى حديث لا أذكر إسناده<sup>(٢)</sup>.

### ٣- حفظه ومعرفته بعلوم الحديث:

تميز البخارى منذ صغره بمواهب عظيمة منحه الله إياها فكان لديه الاستعداد الفطرى الذى فطره الله عليه: حافظة قوية وعقلية صافية وعمل دائب، فلا غرو أن كان فى حفظه ومعرفته بعلوم الحديث آية بهرت العقول وقد سلك فى دراسته أدق الطرق وأسماها فكان ينمى ما عنده من القدرات بالجد والاجتهاد والمداومة على المذاكرة، يقول البخارى: موضحا المنهج السليم للحفظ (لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر)<sup>(٣)</sup> كما كان يستعين على تثبيت المعلومات بربطها بما يحيط بها كما كان يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الكتاب والسنة حتى يتضح القول فى ذهنه من جميع الجوانب فسبق علماء النفس بهذا المنهج التربوى فى الدراسة. ومما يشهد البخارى بسعة حفظه ومعرفته بعلوم الحديث ما رواه أحمد بن الحسين الرازى قال: سمعت أبا أحمد بن عدى الحافظ يقول: سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا به وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوها متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث.

(١) المرجع السابق.

(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص ١٠.

(٣) هدى السارى ص ٤٨٨.

فقال البخارى : لا أعرفه ، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخارى يقول : لا أعرفه ، وكان العلماء ممن حضروا المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : فهم الرجل ومن كان لم يدر القصة يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الحفظ ثم انتدب رجل من العشرة أيضا فسأله عن حديث من الأحاديث المقلوبة فقال : لا أعرفه ، فسأل عن آخر فقال : لا أعرفه ، فلم يزل يلقي عليه واحدا واحدا حتى فرغ والبخارى يقول : لا أعرفه ، ثم الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على (لا أعرفه) ، فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال أما حديثك الأول فقلت كذا : وصوابه كذا وحديثك الثانى كذا وصوابه كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل<sup>(١)</sup>. يقول ابن حجر: هنا يخضع للبخارى فما العجب من رد الخطأ إلى الصواب؟ فإنه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة وفى هذا الامتحان الصعب الذى اجتازه البخارى بنجاح باهر ما يدل على قوة ذاكرته، وبلوغه فى الإحاطة بالحديث حدا لم يصله سواه حتى أقر له الجميع بالإمامة والفضل. وكان البخارى حجة فى معرفة علوم الحديث ولم يتصدر للتحديث إلا بعد إحاطته بالصحيح من السقيم كما قال : (ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت فى كتب أهل الرأى). وهكذا تتضح شخصيته العلمية متكاملة الجوانب فى مجال السنة المطهرة، يجمع بين حفظ الأسانيد والمتون والإحاطة الدقيقة بعلم الحديث مما جعله مرجعا لكبار العلماء. قال أحمد بن حمدون الحافظ (رأيت البخارى فى جنازة ومحمد بن يحيى الذهلى يسأله عن الأسماء والعلل ، والبخارى يمر فيه مثل السهم كأنه يقرأ قل هو الله أحد)<sup>(٢)</sup>. وقد شهد الإمام مسلم للبخارى بالسبق والإمامة معترفا له بالفضل ، قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم بن الحجاج إلى البخارى فقبل بين عينيه ، وقال : (دعنى أقبيل رجليك يا أستاذ الأساتذة ويا سيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله)<sup>(٣)</sup>.

كما شهد له أيضا أبو عيسى الترمذى قال : ( لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل)<sup>(٤)</sup> كما شهد له أقرانه وشيوخه

(١) هدى السارى ص ٤٨٧ ، ووفيات الأعيان ج١ ص ٥٧٦ .

(٢) هدى السارى ص ٤٨٩ .

(٣) البداية والنهاية ج١١ ص ٩٦ .

(٤) تاريخ بغداد ج٢ ص ٢٧ .

وأثنوا عليه عاطر الثناء، فلا غرابة أن يلقب بأمر المؤمنين في الحديث، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

### شيوخ البخارى:

رسم البخارى منهجا لنفسه فى اختيار شيوخه الذين يأخذ عنهم لا يتعداه ولا يحددون عنه فقد طاف بأفاق كثيرة يبحث عن أئمة الحديث واشترط على نفسه ألا يأخذ الحديث إلا عن الرواة الثقات المعروفين بالورع، واهتم بمعرفة أحوالهم وكيفية تلقيهم للحديث فميز بين من كان محل ثقة كاملة فى نظر الأئمة المحدثين فأخذ حديثه وبين من لم يكن محل ثقة فترك حديثه. يقول البخارى: (كتبت عن ألف شيخ وأكثر ما عندى حديث إلا وأذكر إسناده)<sup>(١)</sup> وفى هذا دلالة على إحاطته الدقيقة وتحريه الشديد فى معرفة الرجال وتمييزهم فمن كان من الرواة فيه نظر ترك حديثه مهما كان عدد أحاديثه، سئل عن خبر حديث، فقال: (يا أبا فلان أترانى أدلس؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر، وتركت مثلها أو أكثر لغيره لى فيه نظر)<sup>(٢)</sup>.

وكما تحرى الدقة فى معرفة الثقات وغيرهم فقد تحرى الدقة كذلك بالنسبة للأحاديث الصحيحة وغيرها فحفظ كثيرا من الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة، وحفظه لغير الصحيحة إنما هو لتجنبها وتمييزها وتنقية الأحاديث الصحيحة منها.

وقد كان شيوخ البخارى من الكثرة بمكان بحيث يصعب استيعابهم أو تحديد بعض الشخصيات العلمية الذين كان لهم أثرهم فى تزكية مواهبه وتنمية ثروته العلمية لأنه كان ذا رحلات واسعة متأثرا بجميع شيوخه الأفاضل حتى تكونت شخصيته العلمية المستقلة ومن شيوخه بمكة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأرقى وإسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر الحميدى، وبالمدينة: إبراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبدالله بن حمزة، وبالشام: محمد بن يوسف الفريابى من أوائل من صنف المسانيد وأبو إسحق بن إبراهيم وأبو إبراهيم وأبو اليمان بن نافع، وبيخارى: محمد بن سلام البيكندى ومحمد بن يوسف بن محمد المسندى، وبمرو: على بن الحسن بن شقيق وعبدالله بن عبدالله بن عثمان ومحمد بن يحيى الصائغ، وببلخ: مكى بن إبراهيم ويحيى بن بشر وقتيبة بن سعيد ومن هراة أحمد بن

(١) تهذيب التهذيب ج٢ ص٤٧.

(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص٢٥.

الواليد الحنفى ، ومن نيسابور: يحيى بن يحيى التميمى وإسحق بن راهويه ومحمد بن يحيى الذهلى ومن الرى: إبراهيم بن موسى ومن بغداد: أحمد بن حنبل ومحمد بن سابق وأبو بكر بن الأسود ومن واسط حسان بن عبدالله وسعيد بن عبدالله بن سليمان ومن البصرة: أبو عاصم النبيل وأبو الوليد الطيالسى ومن الكوفة: عبدالله بن موسى وأبو نعيم بن يعقوب وبمصر: عثمان بن صالح وسعيد بن كثير ويحيى بن عبدالله بن بكير وبالجزيرة: أحمد بن عبدالملك الحرانى وأحمد بن يزيد وعمر بن خلف، وقد ميز الحاكم بين كل ناحية وسمى شيوخها من المتقدمين ليستدل على أعلى إسناد البخارى<sup>(١)</sup> وإذا نظرنا إلى مراتب شيوخ البخارى نرى أنهم ينحصرون فى خمس طبقات:

### الطبقة الأولى<sup>(٢)</sup>:

من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبدالله الأنصارى حدثه عن حميد ومثل مكى بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبى عبيد، ومثل أبى عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبى عبيد أيضا ومثل عبدالله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبى خالد ومثل أبى نعيم حدثه عن الأعشى وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين.

### الطبقة الثانية:

قوم حدثوا عن أئمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى عنهم عن ابن جريج ومالك وابن أبى ذئب فى الحجاز وشعبة والأوزاعى وطبقتهما بالشام والثورى وحماد وأبى عوانة بالعراق ويعقوب بن عبد الرحمن بمصر وفى هذه الطبقة كثرة.

### الطبقة الثالثة:

قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيتهم، ولكن لم يسمعهم كزيد بن هارون وعبد الرزاق.

### الطبقة الرابعة:

قوم فى عداد طبقتهم حدث عنهم عن مشايخه كأبى حاتم بن إدريس الرازى.

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ج٢ ص٢١٤.

(٢) هدى السارى ص٤٧٩.

## الطبقة الخامسة:

قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبدالله بن حماد وعبدالله ابن أبي العاص الخوارزمي وحسين بن محمد القبانى وغيرهم وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبى شيبه عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، وعن البخارى أنه قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه<sup>(١)</sup>. ولعل مرادهم بذلك زيادة العلم وكثرة التحديث والتمكن فربما يكون عند البعض ما ليس عند الآخرين حتى ولو كانوا أدنى منهم.

ولتفصيل هذه الطبقات وبيانها فائده هامة هي أنه يبتعد عن الالتباس والإبهام عن الذى لا معرفة له إذا كان الحديث بإسناد عال مرة ونازل أخرى وبمعرفة الطبقات يمكن إدراك أن الإسناد العالى قد حذف منه أو الإسناد النازل قد زيد فيه<sup>(٢)</sup> يقول ابن طاهر مبينا ذلك: لئلا يظن من لا معرفة له إذا حدث البخارى مثلا عن مكى عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة. ثم حدث فى موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن بكير ابن عبدالله الأشج عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة أن الإسناد الأول سقط منه شيء وعلى هذا سائر الأحاديث؛ إذ لو لم يعرف ذلك لوقع الالتباس فى كثير من الأحاديث على من لا معرفة له «أ. ه».

ومن شيوخ البخارى الذين كان لهم أثرهم: الإمام على بن المدينى والإمام أحمد بن حنبل والإمام يحيى بن معين والإمام إسحق بن راهويه، وسيأتى الحديث عنهم إن شاء الله.

## من صفات الإمام البخارى:

كان البخارى نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير ويميل لونه إلى السمرة<sup>(٣)</sup>. وقد جمع مع علمه كثيرا من محامد الفعال وكريم الخصال وعرف بالتقوى والورع ومكارم الأخلاق، وبتلك المعانى النبيلة والمثل المشرقة التى استقاها من منابع السنة المطهرة احتل مكانة مرموقة بين علماء عصره فجمع بين الحسنين: علما وعملا، وكان كثير العبادة

(١) هدى السارى ص ٤٨٠.

(٢) البخارى محدثا وفقهيا للدكتور الحسينى هاشم ص ٤٠.

(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٩.

والتهجّد بالليل وقراءة القرآن الكريم زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة. وذات يوم كان يصلي فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضى صلاته قال: انظروا أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا (الزنبور) قد ورمه في سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته وقال: كنت في آية فأحييت أن أتمها<sup>(١)</sup> وفي هذا ما يدل على مدى اتصاله بربه ولذو مناجاته في صلاته مما لا يجعله ينصرف عن العبادة مهما كانت الأحوال. كما كان حسن المعاملة غاية في الحياء وعفة اللسان وتحري القول في نقد الرجال، يظهر ذلك واضحاً لمن يتأمل كلامه في الجرح والتعديل فيقول مثلاً «سكتوا عنه»، «فيه نظر»، (تركوه) (ونحو هذا من العبارات التي يتبين منها دقته وتحريه، ولذلك كان يقول: إنني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً)<sup>(٢)</sup> ومما اتصف به البخاري كذلك الكرم فقد ورث ثروة عظيمة أنفق منها على طلبة العلم والفقراء وسائر وجوه البر، يقول في ذلك: كنت استغل في كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها في الطلب وما عند الله خير وأبقى<sup>(٣)</sup> وهكذا وطن البخاري نفسه على معاني النبل والفضيلة، وكان حريصاً على أن يدعو إلى ما تحلى به من هذه الأخلاق ومن ذلك دعوته إلى اغتنام الوقت في العبادة والاتعاظ بالموت ومن أشعاره المأثورة في ذلك:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع      فعسى أن يكون موتك بغتة  
كم صحيح رأيت من غير سقم      ذهب نفسه الصحيحة فلتة<sup>(٤)</sup>

كما وطن نفسه على تتبع الرسول ﷺ والتأسي به في كل الجوانب فاقتدى به في حب الجهاد والمهارة في الحرب فأتقن الحربة وتعلم استخدام آلات الحرب، وحذق أساليب الجهاد في عصره حتى قيل إنه ما أخطأ في حياته إلا مرتين.

### البخاري ومسألة اللفظ:

وقدم البخاري نيسابور سنة خمسين ومائتين فاستقبله أهلها بالبشر والترحاب ومعهم شيخه الذهلي ولما دخل البلد نزل دار البخاريين فقال محمد بن يحيى: لا تسألوه عن

(١) المرجع السابق ص ٤٧، هدى الساري ص ٤٨١.

(٢) هدى الساري ص ٤٨١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ١١.

(٤) هدى الساري ص ٤٨٢.

شئ من الكلام فإنه أن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه وسمت بنا كل ناصبي ورافضي وجهمي ومرجئي بخراسان<sup>(١)</sup> وقال الذهلي : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه ، فأقبل أناس عليه حتى ظهر الخلل فى مجلس محمد بن يحيى ، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه<sup>(٢)</sup> وكان لهذا الحسد نتيجته السيئة بعد ذلك التى عادت على البخارى ، قال أحمد بن عدى ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث : إن محمد بن إسماعيل يقول لفظى بالقرآن مخلوق ، فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال : يا أبا عبدالله ، ما تقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه فلما ألح عليه قال البخارى : القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة ، فشغب الرجل وقال : قد قال لفظى بالقرآن مخلوق ، ومنذ حدوث هذا الشغب وزعمهم أنه قال بخلق القرآن حدث الجفاء والقطيعة بينه وبين شيخه الذهلي بصورة واضحة وساعد على ذلك ما كان فى النفوس البشرية من حسد ، فقال الذهلي : من زعم لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم ومن ذهب بعد هذا إلى مجلسه فاتهموه ، فانقطع الناس عنه إلا مسلم وأحمد بن سلمة ، فقال الذهلي : ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم بن الحجاج رداءه وقام على رؤوس الناس فبعث إلى الذهلي جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال<sup>(٣)</sup>.

وفى الحقيقة إن البخارى برىء من هذه التهمة وليس فيما رآه من عيب يؤخذ عليه لكنها العصبية العنيفة والتهيب الشديد من الكلام فى هذا الموضوع مما جعل القوم على هذه الصور خاصة بعد ما نال أهل السنة وإمامهم أحمد بن حنبل من الفتنة ، وما أثير حول البخارى إنما هو وليد الحسد ، وإثارة هذه الفتنة قائمة على وجه غير صحيح وهو عدم التفريق بين القرآن والقراءة ، وقد التزم البخارى منهج السلف فأعرض عن سائله فى بادئ الأمر . ولكنه تحت الإلحاح بين أن السؤال فى ذلك بدعة وأجابه إجابة واضحة مبينا الفرق بين القرآن وهو قديم وبين التلفظ والنطق بالألسنة وبين الكتابة بالأيدى وكل ذلك حادث.

(١) هدى السارى ص ٤٩١ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥٣ ، طبقات الشافعية لابن السبكي ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٣) هدى السارى ص ٤٩٢ .

## رجوعه إلى بخارى:

ولكن البخارى آثر السفر إلى بلده «بخارى» خشية اشتعال هذه الفتنة، وعندما عاد إلى بلده استقبلوه استقبالا حارا وفرحوا بمقدمه، ومكث في بلده مدة يحدث الناس ويعلمهم وزاد الإقبال عليه، وسوى بين الجميع في طلب العلم فلم يخص بدرسه قوما دون الآخرين حتى ولو كان الأمير، وعلى هذا المنهج عاش البخارى في بلده حتى وقع بينه وبين أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلى ما عكر الصفو وكان السبب المباشر في ذلك هو اعتزاز البخارى بالعلم، فقد بعث الأمير إلى البخارى أن يحمل إليه كتاب الجامع والتاريخ ليسمع منه، فقال البخارى لرسوله: قل له إنى لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن كانت لك حاجة إلى شىء منه فليحضرنى فى مسجدى أو فى دارى فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم<sup>(١)</sup> فكان هذا هو السبب فى الجفاء والقطيعة بينهما وظل يترقب الأمير ويتحين الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلى الذى واصل عداؤه بما كتبه للولادة والعلماء بالتشنيع على البخارى فى مسألة اللفظ واتهامه بالاعتزال كما كتب إلى الأمير خالد بن يحيى فانتهز الأمير الفرصة للانتقام منه وصرف الناس عنه مستعينا بحديث ابن أبى الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج إلى «خزنتك» وهى قرية من قرى سمرقند «وكان له أقرباء بها فنزل عندهم»<sup>(٢)</sup> فاتفق أن مرض بها وتوفى ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بعد ظهر يوم عيد الفطر بعد حياة حافلة بالعلم والعمل فرضى الله عنه وأرضاه. وقد شهد للإمام البخارى بالعلم والفضل والإمامة فى الحديث والفقه كثيرون لا يحصون من شيوخه وأقرانه وتلاميذه قال يعقوب بن إبراهيم الدورقى: محمد بن إسماعيل البخارى فقيه هذه الأمة وقال محمد بن بشار: «هو أفقه خلق الله فى زماننا، ولعظم مكانته فيهم ولشدة حبهم تمنوا أن يفدوه بأرواحهم. قال يحيى بن جعفر: لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم، قال ابن حجر: ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له أ.هـ»، وفى هذا ما يدل على ما كان عليه البخارى من مكانة عظيمة وتقدير بالغ بين عارفيه وجميع أهل عصره.



(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص ٣٣.

(٢) تهذيب التهذيب ج٩ ص ٥٢، مرآة الجنان لليافعى ج٢ ص ١٦٧.

## مؤلفات البخارى

كان للإمام البخارى مجال فسيح فى التأليف يدل على أفقه العلمى الواسع ومعرفته الفائقة بأحوال الرواة فكتب فى كل ما يتصل بالسنة النبوية الشريفة ومن هذه المؤلفات:

- ١- الجامع الصحيح.
- ٢- الأدب المفرد.
- ٣- رفع اليدين فى الصلاة.
- ٤- بر الوالدين.
- ٥- التاريخ الكبير.
- ٦- التاريخ الأوسط.
- ٧- التاريخ الصغير.
- ٨- كتاب الضعفاء.
- ٩- كتاب التفسير الكبير.
- ١٠- القراءة خلف الإمام.
- ١١- الكنى.
- ١٢- العلل.
- ١٣- أسامى الصحابة.
- ١٤- كتاب الأشربة.
- ١٥- كتاب الوجدان وهو من ليس له إلا حديث واحد.
- ١٦- كتاب الهبة.
- ١٧- كتاب المسند الكبير.
- ١٨- كتاب المبسوط.
- ١٩- كتاب الفوائد<sup>(١)</sup>.

ولنتناول الآن أعظم مصنفات هذا الإمام الجليل وهو كتابه (الجامع الصحيح) الذى صنّفه على الأبواب.

---

(١) مقدمة فتح البارى ص ٤٩٣.

## كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى

### التعريف بالكتاب:

كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى هو الكتاب الذى قال فيه العلماء: إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وبه أصبح البخارى أمير المؤمنين فى الحديث وهو أعلى وأهم مؤلفات البخارى، قطع قبله رحلات واسعة، وكتب عدة مؤلفات كانت بمثابة المقدمة التى مهدت لكتابه العظيم (الجامع الصحيح). وقد صنّفه البخارى فى روية وأناة، متحرّياً العناية التامة والدقة الكاملة ومكث فى تصنيفه ستة عشر عاماً. قال البخارى: صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل<sup>(١)</sup> وكان يتأهب لكتابة كل حديث بالطهارة والصلاة، يقول البخارى: «ما كتبت فى كتاب الجامع الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين»، وقيل إنه وضع تراجم جامع بين قبر النبى ﷺ ومنبره وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين، وروى عن البخارى أنه قال: صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثاً إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته.

وقيل صنّف كتابه ببخارى، وقيل صنّفه بمكة، ويمكن الجمع بين هذه الآراء بأن الإمام البخارى كان يصنّف من كتابه الجامع الصحيح بعضاً بمكة والبعض الآخر بالمدينة والبصرة وببخارى، فقد صنّفه فى ست عشرة سنة ويرى الحافظ أنه ابتداءً تصنيفه ووضع التخطيط العام للكتاب كمسودة فى المسجد الحرام ثم أكمله وبيّضه فى بخارى وغيرها. والاسم الكامل لكتاب الجامع الصحيح هو (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) وقد أطلق عليه صحيح البخارى اختصاراً وكان البخارى نفسه يطلق عليه الصحيح اختصاراً، وقد خرج البخارى أحاديث جامع من ستمائة ألف حديث ويبدو أن مراده بالمسند هو تخريج الأحاديث المتصلة الإسناد ببعض الصحابة عن النبى ﷺ سواء أكانت قولاً أم فعلاً أم تقريراً. وأما ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك فإنما وقع فيه عرضاً لا أصلاً فهو غير مقصود كالمعلقات والموقوفات التى ذكرها استئناساً وتبعاً وهى

(١) كشف الظنون ج١ ص ٥٤٤، تهذيب التهذيب ج٩ ص ٤٩، هدى السارى ص ٤، ٥.

لا تخرج الكتاب عن أصل موضوعه وهو الحديث الصحيح. ولم يفت البخارى أن يسجل فى جامعه بعض الفوائد الفقهية فاستخرج بما وفقه الله من فهم فى المتون المعانى الكثيرة التى فرقها فى أبواب الكتاب بحسب ما يناسبها، كما عني بآيات الأحكام التى استنبط منها واستخرج من كنوزها، فلم يكن مقصوده الاقتصار على الأحاديث فقط بل إنه استهدف الاستنباط منها والاستدلال على بعض الأحكام التى أرادها.

### الباعث له على تأليفه

كانت الكتب المؤلفة قبل الجامع الصحيح منها ما هو ممزوح بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو جامع بين الصحيح والحسن والضعيف، فكان الذى يقرأ هذه الكتب لا يستطيع تمييز الصحيح من غيره إلا إذا كان على جانب كبير من الخبرة التامة فى فنون الحديث كما شاعت الأحاديث الضعيفة بل الموضوعية عن طريق القصص وأصحاب البدع والأهواء كما ظهر بعض المنتسبين إلى أهل الرأى فأوغلوا فى مخالفتهم بعض السنن الثابتة الصحيحة وظل الوضع هكذا حتى جاء الإمام البخارى فاضطلع بدور هام. وأخذ على عاتقه رسالة جلييلة هى أن يخص الأحاديث الصحيحة بالجمع وأن يرتبها على حسب الأبواب الفقهية، وعلى حسب الموضوعات المختلفة الواردة فى الأحاديث، لأنه كان يرى الدواوين المؤلفة قبله تجمع بين الأحاديث بدافع حفظها على الأمة وصيانتها ولم يراع أصحابها فيها المناسبات فى ترتيبها فكانت صعبة على من يريد أن يستخرج منها حديثاً يتعلق بموضوع من أحكام الشرع، فدفعه إلى هذا العمل العظيم وقوى عزمه فيها ما سمعه من أستاذه الإمام إسحق بن راهويه: وقال البخارى كنا عند إسحق بن راهويه فقال: (لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ)، قال فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح، كما قوى عزمه وشرح صدره لذلك رؤياً منامية رأى فيها النبى ﷺ والبخارى واقف بين يديه وبیده مروحة يذب بها عنه فسأل بعض المعبرين عن ذلك فقال له: أنت تذب عنه الكذب. ومع دقة البخارى العلمية وتحريه الكبير فقد كان يطلب التوفيق والعون من الله سبحانه وتعالى ويستلهم الجانب الروحى فى نفسه، قال الفربرى: يقول البخارى: ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، لما ألف البخارى كتابه عرضه على الأئمة: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا فى أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة أ. هـ<sup>(١)</sup>

(١) هدى السارى صه

## منهج البخارى فى الجامع الصحيح

صنف الإمام البخارى كتابه الجامع الصحيح على منهج التأليف على الأبواب، وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيرها فجمع ما ورد فى كل نوع من الأنواع فى باب خاص بحيث يتميز ما يتعلق من الأحاديث مثلا بالصلاة عما يتعلق منها بالصوم وهكذا، مقتصرا على إيراد ما صح من الأحاديث فقط فلم يدون فى كتابه إلا ما صح سنده واتصل بنقل العدول الضابطين وخلا من الشذوذ والعلة كما كان يتخير الرجال الذين يخرج عنهم فينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأكثرهم معرفة لحديثه.

وإذا نظرنا إلى تسمية البخارى لكتابه (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) يتضح لنا منهج البخارى وشرطه فى كتابه فقوله (الجامع) يتضح به أنه لم يختص بصنف دون صنف، وإنما أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار وغير ذلك من الآداب.. بما يتضح من قوله (الصحيح) أنه لا يوجد فيه ما ثبت ضعفه عنده، وأما قوله (المسند) فهو أن الأصل تخريج الأحاديث المتصلة السند بالصحابى عن النبى ﷺ قولا كان ذلك أو فعلا أو تقريرا وأما عدا ذلك فقد ذكر فيه تبعا وعرضا لا أصلا مقصودا<sup>(١)</sup>. وبهذه الطريقة استنتج ابن حجر شرط البخارى فى صحيحه ومنهجه فيه. وقد أكثر الإمام البخارى فى كتابه الجامع الصحيح من التراجم فذكر الترجمة التى تناسب الحديث أولا كشرح أو توجيهه إلى معنى خفى وغرضه من ذلك: الاستنباط منها والاستبدال لأبواب أرادها من الفقه والأصول والزهد والأدب وغيرها وربط كثيرا من أحاديثه بآيات القرآن وأقوال من السلف وما يستنبطه بفهمه من الأحاديث فكانت بمثابة المفتاح لفهم الحديث.

وإذا كان صحيح البخارى يتفق فى منهجه مع موطأ مالك حيث إن الكتابين مرتبان على الأبواب لكن صحيح البخارى يختلف عن الموطأ فى أمرين:

- ١- تجريد البخارى أحاديثه من أقوال الصحابة والتابعين بخلاف الموطأ.
- ٢- جمع البخارى لأحاديث الفقه وغيرها من الأنواع بخلاف الموطأ، فإن أغلبه فى أحاديث الأحكام الفقهية. وبهذا كان الإمام البخارى أول من ألف جامعا صحيحا، لأنه

(١) النكت لابن حجر مخطوط بمكتبة الأزهر.

جمع فى كتابه معظم الأبواب الفقهيّة وغيرها وهو أول صحيح فى القرن الثالث، أما الموطأ فهو أول صحيح فى القرن الثانى وكما قال الإمام النووى: «أول من صنف الصحيح المجرد البخارى»<sup>(١)</sup>.

### شرط البخارى فى صحيحه

وأما عن شرط الإمام البخارى فى كتابه، فقد ورد فى ذلك اختلاف لبعض العلماء وذلك لأنه لم يؤثر عن الإمام البخارى، ولا الإمام مسلم التصريح بشروطهما فى كتابيهما على وجه التفصيل، ولذا استنتج العلماء بدراسة الكتب وسبرها شروطها لكل منهما. وقد اشترط الحافظ أبو بكر الحازمى فى الحديث الصحيح: أن يكون إسناده متصلاً، وأن يكون راويه مسلماً صادقاً غير مدلس ولا مختلط، متصفاً بصفات العدالة، ضابطاً متحفظاً، سليم الذهن قليل الوهم، سليم الاعتقاد.

واشترط البخارى أن يكون الحديث صحيح السند متصلاً بنقل العدول الضابطين خالياً من الشذوذ والعلّة كما سبق واشترط فى المعنعن: اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس، فإذا ثبت ذلك حملت العنونة على السماع، وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى قائم على التصريح بالسماع فى الإسناد، ثم بين الحازمى مذهب الأئمة فى كيفية استنباط مخارج الحديث فقال: إن<sup>(٢)</sup> مذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوى العدل فى مشايخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضاً، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمهم إخرجه، وعن بعضهم مدخول لا يصلح إخرجه إلا فى الشواهد والمتابعات وهذا باب فيه غموض، وطريقه: معرفة طبقات الرواة عن راوى الأصل ومراتب مداركهم، ولنوضح ذلك بمثال: وهو أن نعلم مثلاً أن أصحاب الزهري على طبقات خمس، ولكل طبقه منها مزية على التى تليها وتفاوت، فمن كان فى الطبقة الأولى: فهو الغاية فى الصحة وهو غاية مقصد البخارى، والطبقة الثانية: شاركت الأولى فى العدالة غير أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري حتى كان فيهم من يزامله فى السفر ويلازمه فى الحضر. والطبقة الثانية لم تلزم الزهري إلا مدة يسيرة وكانوا فى الإتقان دون الطبقة الأولى وهم شرط مسلم.

(١) تدريب الراوى (٤١).

(٢) شروط الأئمة الخمسة للحازمى ص ٤٣ بتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثري.

والطبقة الثالثة: جماعة لزموا الزهري مثل أهل الطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول وهم شرط أبي داود والنسائي.

والطبقة الرابعة: قوم شاركوا أهل الطبقة الثالثة في الجرح والتعديل وتفردوا بقلّة ممارستهم لحديث الزهري، لأنهم لم يصاحبوا الزهري كثيرا وهم شرط أبي عيسى. وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داود، لأن الحديث إذا كان ضعيفا أو مطلعته من حديث أهل الطبقة الرابعة فإنه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ويكون اعتماده على ما صح عند الجامعة، وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن فلماذا جعلنا شرطه دون شرط أبي داود.

والطبقة الخامسة: نفر من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يخرج الحديث على الأبواب أن يخرج حديثهم إلا على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند أبي داود فمن دونه فأما عند الشيخين فلا.

فأما أهل الطبقة الأولى: فنحو مالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ويونس وعقيل الأيليان وشعيب بن أبي حمزة وجماعة سواهم.

وأما أهل الطبقة الثانية: فنحو عبدالله بن عمر والأوزاعي والليث بن سعد والنعمان بن راشد وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم.

والطبقة الثالثة: نحو سفيان بن حسين السلمي وجعفر بن برقان وعبدالله بن عمر بن حفص والعمري وزمعة بن صالح المكي وغيرهم.

والطبقة الرابعة: نحو إسحق بن يحيى الكلبي ومعاوية بن يحيى الصدفي وإسحق بن عبدالله بن أبي فروة المدني وإبراهيم بن يزيد المكي والمثنى بن الصباح وجماعة سواهم.

والطبقة الخامسة: نحو بحر بن كنيز السقا والحكم بن عبدالله الأيلي وعبد القدوس بن حبيب الدمشقي ومحمد بن سعيد المصلوب وغيرهم، وهم خلق كثير «أ. ه»

وأما الطبقة الأولى فهم شرط البخاري، وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمد عليه من غير استيعاب، وأما مسلم فيخرج حديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذي يصنعه البخاري في الثانية وأما الرابعة والخامسة فلا يعرجان عليهما<sup>(١)</sup>.

(١) تدريب الراوي ص ٧٠.

وقد علق ابن حجر بعد ذكر كلام الحازمي بقوله: «وهذا المثال الذي ذكرناه هو في حق المكثرين فيقياس على هذا أصحاب نافع وأصحاب الأعشى، وأصحاب قتادة وغيرهم. فأما غير المكثرين فإنما اعتمد الشيخان في تخريج أحاديثهم على الفقه والعدالة وقلة الخطأ لكن منهم من قوى الاعتماد عليه فأخرج ما تفرد به كيحيى بن سعد الأنصاري. ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرج له ما شاركه فيه غيره وهو الأكثر<sup>(١)</sup>».

ويلاحظ أن الحازمي قارن بين البخاري وغيره من الأئمة في كلامه ووضع البخاري في مقدمة الأئمة فجعل شرطه أن يخرج من أحاديث أهل الطبقة الأولى التي امتازت بالحفظ والإتقان وطول ملازمتها لشيخها.

ونرى أن ابن حجر في كتابه «النكت» قد استنتج شرط البخاري من تسمية الكتاب وهو (الجامع الصحيح المسند...) إلخ، ومن استقرائه لتصرفه في تعريف الصحيح، واشتراط اللقاء مع المعاصرة، والثقة وعدم التدليس.

وأرى أن رأي ابن حجر يتفق في المعنى مع ما رآه الحازمي كما سبق. وقد ارتضاها العلماء ولم يرد عليهما اعتراض فكل من الرأيين ينتهي إلى أن البخاري لا يخرج إلا الأحاديث الصحيحة المتصلة بالسند على ما سبق بيانه من شروط.

### رأى ابن طاهر المقدسي في شرط البخاري ومسلم

وأما الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ، فيرى أن شرط البخاري ومسلم: أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع، فإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن وإن لم يكن راو واحد، فإذا صح الطريق إلى ذلك الراوي أخرجاه، إلا أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام كحماد بن سلمة وسهيل بن أبي صالح وداد بن أبي هند، فلما تكلم في هؤلاء بما لا يزيل العدالة والثقة ترك البخاري إخراج حديثهم في الأصول تحريماً لشبهة وقعت في نفسه، وإنما أخرج مسلم حديثهم لزوال الشبهة.

وقد اعترض عليه الحافظ العراقي في قوله: «المتفق على ثقة نقلته...» فقال: وليس ما قاله ابن طاهر بجيد: لأن النسائي ضعف جماعة أخرج لهم الشيخان أو أحدهما وأجيب: بأنهما أخرجا من أجمع على ثقته إلى حين تصنيفهما، ولا يقدم في ذلك تضعيف النسائي

(١) هدى الساري ص ٧.

بعد وجود الكتابين وقال شيخ الاسلام: تضعيف النسائي إن كان باجتهاده أو نقله عن معاصر فالجواب ذلك وإن نقله متقدم فلا، قال: ويمكن أن يجاب: بأن ما قاله ابن طاهر هو الأصل الذي بنيا عليه أمرهما، وقد يخرجان عنه لمرجع يقوم مقامه<sup>(١)</sup>.

رأى الحاكم النيسابوري: وأما الحافظ الحاكم أو عبدالله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ فقد رأى أن الدرجة الأولى من الصحيح اختيار البخارى ومسلم وهو أن يروى الحديث عن النبى ﷺ صحابى زائل عنه اسم الجهالة، بأن يروى عنه تابعيان عدلان، ثم يروى عنه التابعى المشهور بالرواية عن الصحابة وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين حافظ متقن وله رواية من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخارى أو مسلم حافظا مشهورا بالعدالة فى روايته «أ.هـ»

قال أبو على الغسانى: ليس المراد أن يكون كل خبر روياه يجتمع فيه راويان عن صحابيه ثم عن تابعيه فمن بعده، فإن ذلك يعز وجوده، وإنما المراد أن هذا الصحابى وهذا التابعى قد روى عنه رجلان خرج بهما عن حد الجهالة<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أن الشيخين لم يشترطا هذا الشرط، ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك، والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن، ومن استقرأ الكتابين وجد ما يرد هذه الدعوى، فمن ذلك حديث مرداس الأسلمى «يذهب الصالحون الأول فالأول»، الحديث، وهو حديث تفرد البخارى بإخراجه عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة عن بيان عن قيس عن مرداس، وليس لمرداس فى صحيح البخارى سوى هذا الحديث ولم يروه عن مرداس غير قيس بن أبى حازم<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر: والشرط الذى ذكره الحاكم وإن كان منتقضا فى حق بعض الصحابة الذين أخرج لهم فإنه معتبر فى حق من بعدهم، فليس فى الكتاب حديث أصل من رواية من ليس له إلا راو واحد قط<sup>(٤)</sup> «أ.هـ»

### عدد أحاديث الجامع الصحيح

وجميع أحاديث الجامع الصحيح بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حرره ابن حجر: سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثا، وجملة ما فى الكتاب من التعليقات

(١) شروط الأئمة للمقدسى، تدريب الراوى ص ٦٥.

(٢) تدريب الراوى ص ٦٦.

(٣) شروط الأئمة الخمسة ص ٢٢.

(٤) هدى السارى ص ٧.

ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون حديثاً وأكثرها مخرج فى الكتاب أصول متونه، والمتون التى لم تخرج فى الكتاب مائة وستون حديثاً، وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاثمائة وواحد وأربعون حديثاً. وجميع ما فى صحيح البخارى من المتون الموصولة من غير تكرار ألفاً حديث وستمائة حديث وحديثان، ومن المتون المعلقة المرفوعة التى لم يوصلها فى موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثاً، فجميع ذلك ألفاً حديثاً وسبعمائة وواحد وستون حديثاً.

قال ابن حجر: فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم<sup>(١)</sup>، ورأى ابن حجر فى عدد أحاديث كتاب البخارى هو الذى أرجحه فهو من الدقة والتحريز بمكان بحيث يطمئن إليه الباحث بعد نظره فى كتابه، ومما ساعد ابن حجر على ذلك انه شرح صحيح البخارى وكان يذكر فى آخر كل كتاب منه عدد الأحاديث.

### رواة الجامع الصحيح

سمع كتاب الجامع الصحيح رواة كثيرون من أشهرهم أبو عبدالله بن يوسف بن مطر ابن صالح بن بشر الفربرى المتوفى سنة ٣٢٠، نسبة إلى فربرى ببحارى، وكان سماعه للصحيح كله مرتين: مرة بفربرى سنة ٢٤٨ ومرة أخرى ببحارى سنة ٢٥٢، أى قبل وفاة الإمام البخارى بأربع سنين، ومنهم إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفى المتوفى سنة ٢٩٤ وكان من الحفاظ وله تصانيف وقد فاتته من كتاب صحيح البخارى أوراق رواها بالإجازة عن البخارى ومنهم حماد بن شاکر النسوى المتوفى سنة ٢٩٠هـ، ومنهم أبو طلحة منصور ابن محمد بن على بن قرينة البزدوى المتوفى سنة ٣٢٩ وهو آخر الذين حدثوا عن الإمام البخارى<sup>(٢)</sup>.

وقد تناول تلامذتهم كتاب الجامع الصحيح ثم أخذوه عنهم من بعدهم وهكذا تتابعت روايته عن الكثيرين فى كل زمان وتلقته الأمة بالقبول.

(١) هدى السارى ص ٤٧٠.

(٢) مقدمة فتح البارى ج١ ص ٤.

## الأحاديث الصحيحة والرواة الثقات فى كتاب البخارى

سبق بيان أن الإمام البخارى تحرى أن يدون فى كتابه الأحاديث الصحيحة ولا يروى إلا عن الرواة الثقات الذين اشترط فيهم الشروط السابقة، ولكنه لم يستوعب الأحاديث الصحيحة كلها، وقد صرح البخارى بذلك فى قوله: (ما أدخلت فى كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح حتى لا يطول)<sup>(١)</sup>.

وكان البخارى يحفظ الأحاديث الصحيحة، والأحاديث غير الصحيحة أيضا لمعرفة وتمييز الصحيح من غيره. قال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتى ألف حديث غير صحيح وبهذا يتضح أن البخارى لم يثبت فى كتابه كل حديث صحيح كان يحفظه، ولا كل حديث صحيح على شرطه بل إن الصحيحين لم يستوعبا الأحاديث الصحيحة فى كتابيهما، وقال الحافظ ابن كثير: ثم إن البخارى ومسلما لم يلتزما بإخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث فإنهما قد صححا أحاديث ليست فى كتابيهما، كما نقل الترمذى وغيره عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده بل فى السنن وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين أن البخارى لم يستوعب الصحيح ولم يلتزم استيعابه كما أنه لم يستوعب الرواة الثقات المتوفرة فيهم صفات القبول والصحة، قال الحازمى: إن قصد البخارى وضع مختصر فى الحديث وإنه لم يقصد استيعابا لا فى الرجال ولا فى الحديث، وقد قال: لم أخرج فى هذا الكتاب إلا صحيحا. ولم يخرج الشيخان شيئا فى الصحيحين من حديث الإمام أبى حنيفة ولا حديث الإمام الشافعى ولا أخرج البخارى من حديث الإمام أحمد إلا حديثين وما أخرج مسلم فى صحيحه عن الإمام البخارى ولا عن الإمام أحمد إلا قدر ثلاثين حديثا ولا أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن الإمام مالك عن نافع بطريق الشافعى وهو أصح الطرق إلا أربعة أحاديث، وما رواه أحمد عن الشافعى بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثا. ولعل السبب فى ذلك كما رأى الشيخ زاهد الكوثرى<sup>(٣)</sup> أن ذلك راجع إلى أنهم كانوا يرون أن أحاديث هؤلاء فى مأمّن من الضياع لكثرة أصحابهم القائمين بروايتها شرقا وغربا. وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضيع أحاديثهم

(١) تاريخ بغداد ج٢ ص٨ مقدمة ابن الصلاح ص٨.

(٢) الباعث الحثيث ص٢٥.

(٣) شروط الأئمة الخمسة ص٤٣.

لولا عنايتهم بها لأنه لا يستغنى من بعدهم عن دواوينهم فى أحاديث هؤلاء دون هؤلاء فالاطمئنان على حفظ مروياتهم وعدم الخوف عليها هو الذى حدا بالأنمة إلى ترك بعض الرواة، وأيضا فقد يكون السبب طلب علو الإسناد بأن يكون الحديث من طريق ذلك الإمام نازلا، ومن طريق غيره من الثقات عاليا فيختار صاحب الطريق العالى لقربه من الرسول ﷺ وإذا تبين أن صحيح البخارى لم يستوعب الصحيح ولا التزمه فليس لأحد أن يرد حديثا صحيحا أو لا يأخذ به بحجة أنه ليس فى الصحيحين وكما يقول الإمام مسلم: إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحاح، ولم أقل إن ما لم أخرج من الحديث فى هذا الكتاب ضعيف<sup>(١)</sup>.

### تراجم كتاب الجامع الصحيح

تميز الإمام البخارى بالحافظة القوية، والذهن السيال، والذى وجهه إلى فهم الكتاب والسنة واستنباط ما فيهما من كنوز، فاستخرج ما شاء الله له من الأحكام، وقد أودع فى تراجم الأبواب ما أداه إليه اجتهاده، وما اهتدى إليه بعقله العلمى المتفتح، مما يشهد له كإمام من أئمة الفقه بالبراعة فى استنباط الأحكام من الأحاديث النبوية ومما زاد البخارى توفيقا فى الفهم والاستنباط أنه كان يتجه إلى نصوص القرآن والسنة بطاقاته الروحية، فيهيئ نفسه بطهارة الجسم والنفس وبجوار صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه. وبهذا السلوك العقلى والروحى وصلت تراجم أبوابه منزلة عالية روى أبو أحمد بن عدى عن عبد القدوس بن همام، قال: (شهدت عدة مشايخ يقولون: حول البخارى تراجم جامعة - يعنى بيئها - بين قبر النبى ﷺ ومنيره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين) وقد قسم الإمام البخارى كتابه الجامع الصحيح إلى كتب وقسم الكتب إلى أبواب وبدأه بباب: كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر كتاب الإيمان، ثم العلم، ثم كتاب الطهارة، ثم كتاب الصلاة وهكذا، وبعد أن انتهى من ذكر العبادات والمعاملات ذكر غير ذلك من الأبواب غير الفقهية كالسيرة والمغازى، والتفسير وغير ذلك، وبلغ عدد كبير من الأحاديث وفى

(١) المرجع السابق ص ٦٠.

(٢) فتح البارى ج ١ ص ٥٠٦.

بعض الأبواب ما فيه حديث واحد وفى بعضها ما فيه آية من القرآن وبعضها لا شىء فيه ، وقيل أنه صنع ذلك ليبين أنه لم يصح عنده حديث بشرطه فى المعنى الذى ترجم عليه ، ومن ثم قام بعض الناسخين للكتاب فضم بابا لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر له باب ، فأشكل فهمه على الناظر فيه .

ويقوم منهج البخارى فى تراجمه على طريقتين :

٢- طريقة خفية .

١- طريقة ظاهرة .

### ١- الطريقة الظاهرة

هى أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة على ما يورده من الأحاديث ، كأن يقول : هذا الباب الذى فيه كيت وكيت أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلانى ، مثلا وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم له ، وقد تكون ببعض ألفاظه ، وقد تكون بمعناه ، وهذا النوع من التراجم ، وهو التراجم الظاهرة ذكر ابن حجر أن فائدتها : الإعلام بما ورد فى ذلك الباب<sup>(١)</sup> ، ومثال ذلك : (باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة رضى الله عنها) . وجاء بالإسناد المتصل إلى عروة أن عائشة رضى الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك<sup>(٢)</sup> فليس فى هذه الترجمة اجتهاد ، ولكنها مجرد عنوان لما ترجم له .

ومثال الترجمة بلفظ المترجم له : (باب قول النبى ﷺ اللهم علمه الكتاب) ، «وجاء بالحديث المتصل عن ابن عباس قال : ضمنى رسول الله ، وقال : اللهم علمه الكتاب»<sup>(٣)</sup> فقد جاء فى الترجمة هنا بنفس الحديث المترجم له .

ومثال الترجمة ببعض المترجم له : (باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) وجاء بالإسناد المتصل ، وقال حميد بن عبد الرحمن : سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبى ﷺ يقول : (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله)<sup>(٤)</sup> فقد ترجم هنا ببعض عبارات الحديث المترجم له .

(١) مقدمة فتح البارى ص ١١ .

(٢) فتح البارى ج ٧ ص ٩٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٤) فتح البارى ج ١ ص ١٥٠ .

ومثال الترجمة التي جاءت تفسيرا لمعنى كلمة فى الحديث. (باب الاغتباط فى العلم والحكمة) وقال عمر: تفقهوا قبل أن تسودوا ثم ذكر الحديث المسند عن عبدالله بن مسعود قال: قال النبى ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»<sup>(١)</sup>. فقد فسر فى هذه الترجمة المعنى المراد بالحسد وهو الغبطة ومعناها: أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه بخلاف الحسد.

## ٢ - الطريقة الخفية

أن يأتى للحديث العام بترجمة خاصة، أو يأتى للحديث الخاص بترجمة عامة، فمثال الأول: «باب جهر الإمام بالتأمين»<sup>(٢)</sup> ثم يأتى بالحديث المسند عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» فليس فى الحديث التصريح بالجهر بالتأمين ولكنه وضح فى الترجمة أن المراد الجهر بالتأمين فى الصلاة الجهرية، وأخذ ذلك من قول الرسول ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا» فتحديدها بوقت تأمين الإمام، ولا يعرف إلا حال الجهر حيث يتمكن المقندى أن يؤمن، فبين بالترجمة إذ أن الحديث وإن كان عاما، إلا أنه أراد منه الخصوص.

ومثال الثانى وهو ما جاء فيه بترجمة عامة للحديث الخاص: (باب التسمية على كل حال وعند الوقاع)<sup>(٣)</sup> وجاء بالإسناد المتصل عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: «باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره»، فالحديث ورد خاصا بالحالة المعينة وهى عند الوقاع، أما الترجمة فجاءت عامة فى هذه الحالة وفى سائر الأحوال، وذلك للإشارة إلى أن التسمية مستحبة عموما، والحديث وإن جاء خاصا إلا أنه يراد به العموم، وهكذا الحال بالنسبة للمطلق والمقيد وشرح المشكل وتفسير الغامض وتأويل الظاهر وتفصيل المجمل.

وقد يأتى بلفظ الترجمة، ثم يورد بعدها أية أو أثرا لا حديثا مسندا، فكأنه يقول لم يصح فى الباب شىء على شرطى. وقد يترجم بآية ويأتى بعدها بالحديث، وقد يترجم

(١) فتح البارى ج١ ص ١٥١.

(٢) فتح البارى ج٢ ص ١٧٧.

(٣) العيني ج٢ ص ٣٦٦.

بلفظ الاستفهام كقوله: باب هل يكون كذا؟ أو من قال كذا؟ وذلك عندما لا يتجه له القطع بأحد الاحتمالين، ويكون غرضه بيان هل يثبت الحكم أم لا؟ فترجم على الحكم ومراده ما يفسره بعد ذلك من إثباته أو نفيه أو احتماله لهما، وربما كان أحد الاحتمالين أظهر، وغرضه: أن يبقى للنظر مجالاً. وقد يترجم بأمر يكون في الظاهر قليل الجدوى ولكن إذا نظر فيه الناظر وتدبره وجده كثير النفع كقوله: (باب قول الرجل ما صلينا)<sup>(١)</sup> فإنه أشار به إلى الرد على من كره ذلك.

### نقد الجامع الصحيح للإمام البخارى

تلقت الأمة كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى بالقبول واحتل هذا الكتاب النفيس مكانته الجليلة وتقديره العظيم عند أئمة الحديث ولذا عنوا به عناية عظيمة فكان منهم من دفعه اهتمامه بالكتاب وتقديره له إلى أن قام بتطبيق ما فيه من الأحاديث على ما اشترطه البخارى في صحيحه، فإذا ما بدا له أن بعض الأحاديث لا تتفق وما اشترطه البخارى، وتبين له أنها نزلت من الدرجة العالية التي التزمها، إذا ما بدا له تناول هذه الأحاديث بالنقد. وليس معنى نقدهم لها أنها قد وصل بها الضعف إلى حد الموضوع أو المنكر ما سيوضح ذلك.

وقد كان من بين الأحاديث المنتقدة على البخارى ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثاً، ومنها ما انفرد البخارى بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثاً، وقبل بيان الرد الاجمالي والتفصيلي على هذا النقد أحب أن أقرر أن الدافع لهؤلاء النقاد الذي حفزهم على هذا النقد هو شدة حذرهم ويقظتهم، وكمال اهتمامهم وعنايتهم بهذه المصنفات النفيسة، على أساس من الإخلاص وليس بدافع القدح أو الحسد.

### الجواب الإجمالى

ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى جواباً إجمالياً قال فيه: «لا ريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لا يختلفون فى أن على ابن المدينى كان أعلم أقرانه بعلم الحديث وعنه أخذ

(١) صحيح البخارى ج١ ص١٠٩.

البخارى ذلك حتى كان يقول: ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى، ومع ذلك فكان على بن المدينى إذا بلغه ذلك عن البخارى يقول: دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه، وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلة حديث الزهري وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا وروى الفربرى عن البخارى قال: ما أدخلت فى الصحيح حديثا إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته، وقال مكى بن عبدالله: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابى هذا على أبى زرة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته فإذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فتقدير توجيهه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة «أ.ه»<sup>(١)</sup>

## الجواب التفصيلى

وأما من حيث التفصيل فإن الأحاديث المنتقدة تنقسم إلى ستة أقسام:

### القسم الأول:

ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد، فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيده وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطنى لأن الراوى إن كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه وإن كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع، والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لا يعلل الصحيح، وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيده تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيهما صححه المصنف فينظر إن كان ذلك الراوى صحابيا أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه إدراكا بينا أو صرح بالسماع إن كان مدلسا من طريق أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك وإلا لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك فى باب ماله متابع وعاضد أو ما خفته قرينة فى الجملة تقوية ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع وربما علل بعض النقاد، أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة كما

(١) هدى السارى ص ٣٤٥.

في الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالإجازة بل في تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالإجازة عنده.

### القسم الثاني:

ما تختلف الرواة فيه بتغير رجال بعض الإسناد، فالجواب عنه إن أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوى على الوجهين جميعا فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدد، إن امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها فالتعليل بجميع ذلك من أجل الاختلاف غير قاذح إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغي الإعراض أيضا مادام هذا سبيله.

### القسم الثالث:

ما تفرد بعض الرواه بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضعف ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل بها إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع أما إن كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا، اللهم إلا إن وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض رواه فما كان من هذا القسم فهو مؤثر.

### القسم الرابع:

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف منهم وليس في هذا «الصحيح» من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن لكل منهما متابعا أحدهما حديث أبي بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: كان للنبي ﷺ فرس يقال له اللحييف، قال الدارقطني: وأبى هذا ضعيف قال الحافظ وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيم بن عباس، وثانيهما: حديث إسماعيل بن أبي أويس عن مالك وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الخمس، الحديث. قال الدارقطني وإسماعيل ضعيف قال الحافظ: لم ينفرد به بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية إسماعيل سواء.

### القسم الخامس:

ما حكم فيه بالوهم على بعض رواه، والجواب أن الوهم إنما يؤثر إذا لم يرو الحديث من غير طريق الذى حكم عليه بالوهم، وقال ابن حجر: وليس في الصحيح منه بحمد الله

شئىء وأما إذا روى الحديث من غير طريقة فذلك الوهم لا يؤثر ويكون المعتمد عليه أصل الحديث لا خصوص ذلك الطريق.

### القسم السادس:

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن والجواب: إن هذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع فى المختلف من ذلك أو الترجيح أ.هـ،<sup>(١)</sup> وبعد أن ذكر ابن حجر الأحاديث المنتقدة وأجاب عنها بين أن هذا هو جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد. وقد ظهر واضحا أن ما من حديث إلا ورد من طريق آخر وثبتت صحة المتون كلها فضلا. عن رد كل نقد وجه إلى الأحاديث ولا يغض هذا النقد من قيمة الجامع الصحيح وأصحيته فهو فى الدرجة الأولى من الصحة.

### ومن أمثلة الأحاديث المنتقدة:

١- قال الدار قطنى: (وأخرج جميعا - أى البخارى ومسلم - حديث الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس يعنى فى قصة القبرين وأن أحدهما كان لا يستبرى من بوله قال: وقد خالفه منصور فقال: عن مجاهد عن ابن عباس، وأخرج البخارى حديث منصور على إسقاطه طاوسا، وهذا الحديث قد أخرجه البخارى فى كتاب الطهارة عن عثمان بن أبى شيببة عن جرير وأخرجه فى كتاب الأدب عن كثير بن سلام عن عبيدة بن حميد كلاهما عن منصور به، ورواه من طريق أخرى من حديث الأعمش وأخرجه باقى الستة من حديث الأعمش أيضا وأخرجه أبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه من حديث منصور أيضا، وقال الترمذى بعد أن أخرجه: رواه منصور عن مجاهد عن ابن عباس وحديث الأعمش أصح يعنى المتضمن للزيادة، قال الحافظ: وهذا فى التحقيق ليس بعللة لأن مجاهدا لم يوصف بالتدليس وسماعه من ابن عباس صحيح فى جملة من الأحاديث ومنصور عندهم أتقن من الأعمش مع أن الأعمش أيضا من الحفاظ والحديث كيفما دار دار على ثقة الإسناد كيفما دار كان متصلا فمثل هذا لا يقدر فى صحة الحديث إذا لم يكن راويه مدلسا، وقد أكثر الشيخان من تخريج مثل هذا ولم يستوعب الدار قطنى انتقاده<sup>(٢)</sup>.

(١) هدى السارى.

(٢) هدى السارى.

٢- قال الدار قطنى: وأخرجنا جميعا حديث ابن جريج عن الزهرى عن عبد الرحمن ابن عبدالله عن أبيه وعمه وعبيد الله بن كعب عن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد الحديث... وقد خالفه معمر فقال: عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهرى عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر، قال الدارقطنى: ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه، قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبه إلى جده فتكون روايتهم منقطعة وهذا الجواب صحيح من الدار قطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لا يضر<sup>(١)</sup>.



---

(١) هدى السارى ص ٣٦٢.

## الإمام مسلم بن الحجاج

### نسبه ونشأته:

هو الإمام أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشان القشيري نسبا النيسابوري وطنا صاحب «المسند الصحيح» وأحد الأئمة والحفاظ المتقنين.

قبيل إنه ولد سنة مائتين واثنتين، وقيل مائتين وأربع، وقيل مائتين وست، وأرجح الرأي الأخير وهو أنه ولد سنة ست ومائتين لما روى أنه (توفى مسلم بن الحجاج رحمه الله عشية الأحد، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة رحمه الله ورضي عنه)<sup>(١)</sup> «أ.هـ» فإذا ما تبين أن وفاته كانت سنة إحدى وستين ومائتين وأنه عاش من العمر خمسا وخمسين سنة فتكون ولادته في سنة ست ومائتين على الأرجح.

وقد ولد الإمام مسلم بنيسابور وهي أحسن مدن خراسان ونشأ شغوبا بالعلم، طلبه منذ صغره، وساعده على طلب العلم ما كان يتمتع به من ثورة علمية، كما كان لمسلم بعض العقارات التي أنفق منها في شئون الحياة وطلبه للعلم واشتغل في مطلع حياته بزازا إلى جانب طلبه للحديث.

واقتردى مسلم بالبخارى في تأليف صحيحه، وكان شديد الحب والتقدير له وعندما جاء البخارى نيسابور لازمه مسلم وترك من أجله شيخه محمد بن يحيى الذهلي الذي كان يقول: من زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه فانقطع الناس عن البخارى إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة. ولما قال الذهلي: إلا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، قام مسلم على رؤوس الناس وبعث إلى الذهلي جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال كما سبق بيانه، فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلت عنه وعن زيارته<sup>(٢)</sup>، وقد ترك الإمام مسلم الرواية عنه في الصحيح وغيره. ويعتبر الإمام

(١) مقدمة النووى على شرح صحيح مسلم ص ٧ ط الشعب، وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢٧.

(٢) هدى السارى ص ٤٩٢، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١١٩، مرآة الجنان للبيهقي ج ٢ ص ١٧٥.

مسلم أحد أركان الحديث الذين ضربوا فيه بسهم وافر واشتركوا فى تدوينه بنصيب كبير، ومناقبه مشهورة وسيرته عاطرة، قال فيه شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء: كان مسلم من علماء وأوعية العلم ما علمته إلا خيراً، وكان بزازاً، وكان أبوه الحجاج من المشيخة وقال ابن الأخرم: إنما خرجت مدينتنا هذه من رجال الحديث ثلاثة: محمد بن يحيى، وإبراهيم بن أبى طالب ومسلما. وقال ابن عقدة: قلما يقع الغلط لمسلم فى الرجال لأنه كتب الحديث على وجهه<sup>(١)</sup> «أ.ه».

وهذه الأقوال من شيوخه ومعاصريه إنما تدل على كرم نشأته وطيب منبته وعظيم سيرته ومدى اجتهاده وأمانته فى طلب الحديث الشريف.

### حياته العلمية:

عاش الإمام مسلم حياة مباركة حافلة بالبحث العلمى الجاد والضبط والحفظ والإتقان وشق طريق حياته يساعده على ذلك قوة حافظته وسعة أفقه الفكرى مما جعل الكثيرين من الأئمة يثنون عليه ويقدمونه على مشايخ عصرهم فى معرفة الصحيح<sup>(٢)</sup>، قال فيه ابن أبى حاتم: كان من الحفاظ كتبت عنه بالرى. وقال أبو قريش الحافظ: حفاظ الدنيا أربعة وذكر منهم مسلما وهو إنما يريد بذلك الذين بلغوا فى الحفظ والإتقان درجة سامية، ولا غرابة فى ذلك فالإمام مسلم تتلمذ على يد الإمام البخارى وسار على دربه ونظر فى علمه وأخذ عنه.

### شيوخه:

وابتدأ الإمام مسلم الإقبال على العلم منذ نعومة أظفاره سنة ثمانى عشرة ومائتين فسمع من شيوخ بلده، ثم حج سنة عشرين فسمع من القعنبي بمكة ومن بعض الشيوخ الذين التقى بهم فى البلاد التى سار فيها ثم أسرع فى العودة إلى وطنه وقام قبل سنة ثلاثين برحلة واسعة طوف فيها بمعظم الأقطار الإسلامية ليضم إلى علم بلده مرويات أخرى من بلاد غيرها.

فسمع بخراسان: يحيى بن يحيى، وإسحق بن راهويه وغيرهما، وسمع بالرى: محمد ابن مهراى الجمال، وأبا غسان، وغيرهما، وسمع بالعراق: أحمد بن حنبل وعبدالله بن مسلمة القعنبي وغيرهما، وبالبحران: سعيد بن منصور وأبا مصعب وغيرهما وبمصر: عمرو ابن سواد وحرملة بن يحيى وغيرهما<sup>(٣)</sup> وشيوخه كثيرون ولا يحصيه العدد.

(١) مقدمة تحفة الأحوذى ج١ ص١٢٢.

(٢) مقدمة شرح النووى على صحيح مسلم ص٧، تذكرة الحافظ للذهبي ج٢ ص١٥٠.

(٣) مقدمة شرح النووى على صحيح مسلم ص٧ ط الشعب، تهذيب الأسماء واللغة ج٢ ص٩١.

## تلاميذه:

وقد قدم الإمام مسلم إلى بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وكان آخر قدومه سنة تسع وخمسين ومائتين<sup>(١)</sup>.

وممن روى عن الإمام مسلم الكثيرون من أئمة عصره الحفاظ وكان من بينهم جماعات في درجته منهم: أبو حاتم الرازي، وموسى بن فضل وأحمد بن سلمة، وأبو عيسى الترمذى، وأبو بكر بن خزيمة ويحيى بن علي وأبو عوانة الإسفرايينى وآخرون لا يحصون<sup>(٢)</sup>. وقد أجمع العلماء على إمامته في الحديث وتضلعه في الرواية. ومن أكبر الدلائل على إمامته وحذقه في هذه الصنعة كتاب «المسند الصحيح» الذى بلغ فى حسن الترتيب وتلخيص الطرق مبلغا عظيما.

وكان الإمام مسلم صنو الإمام البخارى فى ضبطه وحفظه وفى ورعه فجمع بين العلم والعمل وكان له فضل كبير فى المحافظة على السنة وعلومها وصيانة الحديث من الأعداء والجهلاء كما تصدى للرد على ما أثير من شبه ضد المحدثين.

واعترف بفضل الإمام مسلم وثقته وصدقه كثير من الأئمة، يقول أبو بكر الجارودى: حدثنا مسلم بن الحجاج وكان من أوعية العلم. وقال مسلمة بن قاسم: (ثقة جليل القدر من الأئمة) وقال ابن أبى حاتم: (كتبت عنه وكان ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث، وسئل أبى عنه فقال: صدوق)<sup>(٣)</sup> أ.هـ. ولما كان للإمام مسلم هذه المكانة العلمية الجليلة، فقد تأثر به كثير من العلماء، وحاول بعض النيسابوريين أن ينسجوا على منواله فلم يبلغوا شأنه، وصنفوا المستخرجات على كتابه، وقد أجمع العلماء على علو مرتبته وحذقه فى هذه الصنعة وتقدمه فيها تقديما عظيما قال النووى: (ومن أكبر الدلائل على ذلك كتابه الصحيح الذى لم يوجد فى كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زياده ولا نقصان والاحتراز من التحول فى الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة وتنبيهه على ما فى ألفاظ الرواة من اختلاف فى متن أو إسناد ولو فى حرف واعتناؤه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلسين وغير ذلك مما هو معروف فى كتابه)<sup>(٤)</sup>. وفى قول

(١) وفيات الأعيان ج٢ ص ١١٩.

(٢) مقدمة شرح النووى على صحيح مسلم ص ٧.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ ص ١٨٢، مقدمة تحفة الأحوذى ج١ ص ٢٣.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ج٢ ص ٩٠.

النووى هذا نرى أنه استخلص أكبر الدلائل على حذق الإمام مسلم فى الصنعة الحديثية فساقها من استقرائه للكتاب وأجملها فى هذه العبارة وهى دلائل تدل بحق على مكانة المسند الصحيح وعظم شأن صاحبه.

### مؤلفاته:

يتميز التصنيف بما يتميز به صاحبه ، فهو ثمرة فكره ودليل عبقريته ، وكلما كثرت أنواع التصنيف كلما دلت على سعة أفق صاحبها وخصوبة فكره وعقليته ، وهكذا كان شأن الإمام مسلم رحمه الله بالنسبة لمصنفاته فقد كثرت وتنوعت فى فنون مختلفة من فنون الحديث رواية ودراية فوضع مؤلفات فى الحديث وفنونه ومن أجل كتبه ( كتاب المسند الصحيح) ، ومن آثاره<sup>(١)</sup>:

- ١- المسند الكبير: وقد رتبته على الرجال.
  - ٢- الجامع وقد رتبته على الأبواب.
  - ٣- الأسماء والكنى: فى أربعة أجزاء.
  - ٤- الأفراد والوحدان.
  - ٥- مشايخ الثورى.
  - ٦- تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة.
  - ٧- كتاب المخضرمين.
  - ٨- كتاب أولاد الصحابة.
  - ٩- الطبقات.
  - ١٠- أوهام المحدثين.
  - ١١- كتاب التمييز.
  - ١٢- العلل.
  - ١٣- أفراد الشاميين.
- ومؤلفات الإمام مسلم تجمع بين طياتها كثيرا من النفاثس والمحاسن ولم تزل ميدانا خصبا للباحثين فهو بحق إمام لم يلحقه أحد من بعد عصره.

---

(١) مقدمة شرح النووى على صحيح مسلم، تهذيب الأسماء واللغات للنووى ج٢ ص٩١.

وبعد الحياة الحافلة بخدمة السنة الممتلئة بأجل الأعمال توفى الإمام مسلم عشية يوم الأحد بنيسابور ودفن يوم الإثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائة وعمره خمس وخمسون سنة<sup>(١)</sup>.

وبعد هذه الصحبة المباركة لحياة هذا الإمام الجليل يصل بنا المطاف إلى أهم أعماله العلمية وأعظم ثمرات حافظته الحادة وفكره المعطاء ألا وهو كتاب «المسند الكبير» ثانى الكتب الستة وأحد الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول. عرفانا بأنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.



---

(١) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١١٩ تهذيب الأسماء واللغات للنووى جـ ٢ ص ٩٢.

## الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج

### التعريف بالكتاب:

هو المسند الصحيح الذى طبقت شهرته الآفاق وتلقته الأمة بالقبول، انتقاه الإمام مسلم من آلاف الروايات، وروى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بإسناده لمسلم رحمه الله قال: (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموع) وبهذا القول يتضح الاسم الأصلي لصحيح مسلم وهو (المسند الصحيح) أخذاً من قوله السابق: (صنفت هذا المسند الصحيح).

وقد تحرى الإمام مسلم فى كتابه تمحيص الروايات والموازنة بينها وتحريروا ألفاظها وقطع فى سبيل ذلك الرحلات الواسعة واستعان ببعض تلاميذه فى كتاباته وتحريره حتى جاء الكتاب ثمرة طيبة للجهاد والاجتهاد الذى بذله هذا الإمام. واستغرق فى تأليفه خمس عشرة سنة، روى عن أحمد بن سلمة أنه قال: كتبت مع مسلم فى تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث ومما يدل على تحريه للروايات الصحيحة وشدة نقده وتمحيصه قوله: ما وضعت شيئاً فى هذا إلا بحجة وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة، ولشدة حيظته كذلك فيما دون أنه قام بعد الفراغ من تأليفه بعرضه على أئمة المحدثين لينقدوه وليروا فيه رأى الحق وهذه سمة العلماء المخلصين يبتغون الحق ويرون فى الرجوع إليه إذا ظهر فضيلة، قال الإمام مسلم: «عرضت كتابى على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته وكل ما قال أنه صحيح وأنه ليس به علة خرجته»<sup>(١)</sup> «أ.هـ»

(١) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووى ص ١١ ط للشعب.

## سبب تصنيف الإمام مسلم « للمسند الصحيح »

قام الإمام مسلم بتأليف كتابه في وقت كانت الحاجة فيه ملحة لظهور مثل هذا الكتاب خاصة وقد توجه إليه بعض المعاصرين وسأله أن يلخص مؤلفا في جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ﷺ في سنن الدين وأحكامه وما كان منها في الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وغير ذلك بالأسانيد التي نقلت بها وتداولها أهل العلم فيما بينهم. وقد صادف هذا السؤال من أحد المعاصرين هوى في نفس الإمام؛ إذ كان لديه الاستعداد والرغبة من قبل وكان يحفزه لهذا العمل دافعان:

**الأول:** رغبته في القيام بجمع طائفة من الأحاديث الصحيحة المتصلة إلى رسول الله ﷺ على وجه يسهل على العامة والخاصة النظر في وجه الحديث واستثمارها وتقريبها للباحثين في الفقه وغيره حتى يمكن الوقوف على كل العطاء الذي تمنحه السنة النبوية، ذلك لأن المصنفات في ذلك العصر كانت صعبة المأخذ ممزوجة فيها الصحيح بغيره. ولئن كان الجامع الصحيح للإمام البخارى مرتبا على الأبواب إلا أن الكشف فيه يحتاج إلى من له خبرة دقيقة بفنون الحديث لخفاء تراجمه على غير أهل الخبرة.

**الثانى:** ما كان عليه الحال آنئذ قبل جمع الصحيحين من اختلاط الأحاديث القوية بالضعيفة والصحيحة بغير الصحيحة، وما قام به القصاص والزنادقة والجهلاء وأهل الأهواء من إغراء العامة وتشويه الحقائق أمام أعينهم وإبراز أخبار منكورة في صورة أحاديث صحيحة. كل ذلك كان حافزا للإمام مسلم أن يقدم كتابا شاملا للأحاديث الصحاح التي يطمئن الناس إليها ويشتغلون بها ويبتعدون عن تيارات الفساد والتضليل.

واستجابة لهذا كله نهض الإمام مسلم بتصنيف كتابه في بلده وفي حياة الكثير من شيوخه متحريرا في الألفاظ وفي السياق، ولا يتصدى لما تصدى له البخارى من استنباطات فقهية أو تفريعات علمية وقدم لكتابه بمقدمة علمية تعتبر من المؤلفات المبتكرة في علم أصول الحديث واحتوت على خطته التي سار عليها في تصنيف كتابه والباعث الذي دفعه إلى هذا التصنيف موضحا أن ضبط القليل المتقن أيسر من معالجة الكثير عند غير المتخصصين. قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: (إن ضبط القليل من هذا الشأن وإتقانه

أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ولا سيما عند من لا تمييز عنده من العوام إلا بأن يوقفه على التمييز غيره وإذا كان الأمر في هذا كما وصفناه فالقصد منه إلى الصحيح القليل أولى بهم من ازدياد)<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما سبق أن الإمام مسلماً أراد بتأليفه هذا الكتاب أن يقوم بتقريب السنة النبوية إلى الناس على منهج مستساغ منادياً كل محب لها وكل راغب في الاستشهاد والاستنباط. كما أراد أن يظهر ما صح من أحاديث الرسول ﷺ في ثوبها الإلهي المشرق بالحق الدامغ لأباطيل الزنادقة والقصاص والجهلة.

### منهج الإمام مسلم في كتابه

تأثر الإمام مسلم بالإمام البخارى فنهج نهجه في تأليف صحيحه فجمع الحديث الصحيح المجرد عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وبوبه على أبواب العلم من فقه وغيره إلا أنه اقتصر على سرد المسند دون ذكر الموقوفات إلا نادراً، ولم يذكر تراجم للأبواب كما صنع البخارى وإنما قام بالتبويب والترجمة من تصدى لشرحه لاسيما الإمام أبو زكريا النووى. وقد سلك الإمام مسلم في صحيحه طريقة حسنة، إذ قام بجمع المتون كلها بطرقها في موضع فلم يقطع الحديث في أبوابه كما فعل البخارى، قال النووى: «وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهي كونه أسهل متناولاً من حيث إنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخارى فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة في أبواب متفرقة ومتباعدة ويذكر الكثير منها في غير بابها الذي يسبق إلى الفهم أنه أولى به وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحول الثقة بجميع ما ذكره البخارى من طرق هذا الحديث» أ.هـ.

والذى سهل للإمام مسلم سلوك هذا المنهج في كتابه أنه لم يقصد في جمع الأحاديث النبوية عرض ما فيها من أحكام فقهية وغيرها، أما البخارى فقد قصد ذلك، ولذا اضطر إلى طريقته التي سلكها في تقطيع الأحاديث وذكرها في أبواب متعددة ومتباعدة، ومن دقة الإمام مسلم في كتابه واعتناؤه أنه تحرى التمييز بين «حدثنا وأخبرنا» فأما لفظ حدثنا

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ٣٧.

فلا يجوز اطلاقه إلا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة، وأما أخبرنا فأطلقه على ما قرئ على الشيخ، وهذا هو مذهب الإمام الشافعي وأصحابه وجمهور أهل العلم بالمشرق وهو مذهب أكثر أصحاب الحديث. وروى ذلك أيضا عن ابن جريج والأوزاعي وابن وهب والنسائي وصار هو الشائع الغالب على أهل الحديث. وذهب جماعة من العلماء إلى جواز اطلاق «حدثنا وأخبرنا» فيما قرئ عن الشيخ وهو مذهب الزهري ومالك وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم من المتقدمين وهو مذهب الإمام البخاري ومعظم الحجازيين والكوفيين.

وذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز إطلاق «حدثنا ولا أخبرنا» في القراءة وهو مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل والمشهور عن النسائي.

وكما عنى الإمام مسلم بلفظ «حدثنا وأخبرنا» عنى أيضا بضبط ألفاظ الرواة وبيان اختلافها بقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان قال أو قالا حدثنا فلان، كما كان يبين ما هناك من اختلاف في حرف من متن الحديث أو صفة الراوى أو نسبه سواء أكان بعض هذه الأمور يتغير به المعنى أو كان لا يتغير به.

ومن تحرى الإمام مسلم: دقته في رواية صحيفه همام بن منبه عن أبي هريرة كقوله حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق معمر عن همام قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فاستنشق» الحديث، وذلك لأن الصحائف والأجزاء والكتب المشتمة على أحاديث بإسناد إذا اقتصر عند سماعها على ذكر الإسناد في أولها ولم يجدد عند كل حدث منها وأراد إنسان ممن سمع كذلك أن يفرد حديثا منها غير الأول بالإسناد المذكور في أولها فهل يجوز له ذلك؟ قال وكيع بن الجراح ويحيى بن معين وأبو بكر الإسماعيلي الشافعي الإمام في الحديث والفقه والأصول: يجوز ذلك، وهذا مذهب الأكثرين من العلماء، لأن الجميع معطوف على الأول فالإسناد المذكور أولا في حكم المعاد في كل حديث وقال الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني: لا يجوز ذلك فعلى هذا من سمع هكذا فطريقه أن يبين ذلك كما فعله مسلم فمسلم رحمه الله سلك هذا الطريق ورعا واحتياطا وتحريا وإتقانا. ومن ذلك تحريه في مثل قوله «حدثنا» عبدالله بن مسلمه حدثنا سليمان يعنى ابن بلال - عن يحيى وهو ابن سعيد فلم يستجز رضى الله عنه أن يقول سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد لكونه لم يقع في روايته منسوباً، فلو قاله منسوباً لكان مخبراً عن شيخه أنه أخبره بنسبه ولم يخبره، ومن دقته أيضا احتياطه الشديد في تلخيص الطرق وتحويل الإسناد في عبارة

موجزة تؤدي المعنى على التمام، كما امتاز منهجه بروعة الترتيب وجمال التنسيق والدقة العلمية في قواعد الإسناد والمتن. وهكذا يطالعنا منهج الإمام مسلم في تدوين كتابه على الأمانة مما يعلمه وعلى الدقة الفائقة بفنون الحديث وعلى حسن العرض والتنسيق مما يشهد له بتضلعه في الحديث وامامته فيه.

وقد قسم الإمام مسلم الأحاديث ثلاثة أقسام، والرجال ثلاث طبقات من حيث العدالة والضبط وذلك دون تكرار إلا لضرورة تقتضى تكرار الحديث كزيادة المعنى في الطريق الآخر وبيان علة في إسناد بمقارنته بغيره من الأسانيد.

القسم الأول: ما رواه الحفاظ المتقنون الذين بلغوا أقصى درجات الصحة في رواياتها.

القسم الثاني: ما رواه المستورون المتوثقون في الحفظ والإتقان المتصفون بالصدق.

القسم الثالث: ما رواه الضعفاء والمتروكون.

فإذا ما فرغ من القسم الأول اتبعه الثاني وأما الثالث فلا يعرج عليه فذكر في كتابه حديث الطبقتين الأوليين وأتى بأسانيد الثانية منهما على طريق الاتباع للأولى والاستشهاد أو حيث لم يجد في الأولى شيئاً وهذا ما رآه القاضي عياض، وقد رأى الإمام أبو عبد الله الحاكم وأبو بكر البيهقي رحمهما الله أنه ذكر القسم الأول وعاجلته المنية قبل إخراج القسمين الباقيين وتأول الحاكم أنه إنما أراد أن يفرد لكل طبقة كتاباً ويأتي بأحاديثهما خاصة ويرى ابن سفيان صاحب مسلم أن مسلماً أخرج ثلاثة كتب من المسندات: أحدهما هذا الذي قرأه على الناس وقال ابن عساكر أنه رتب كتابه على قسمين وقصد أن يذكر في الأول أحاديث أهل الثقة والإتقان وفي الثاني أحاديث أهل الستر والصدق<sup>(١)</sup>.

والذي أراه أن هذا ليس مراد الإمام مسلم ولكنه قد خرج أحاديث الطبقتين الأوليين كما هو موجود في كتابه وكما ظهر من تأليفه ولم يذكر شيئاً من أحاديث الطبقة الثالثة وهذا هو ما رجحه القاضي عياض.

### رموز كتاب الإمام مسلم

سلك الإمام مسلم أيضاً مسلك الإيجاز في كتابه فقام بجمع الطرق منتهجا طريقة التحويل ورمز إليها بحرف (ح) والمذهب المختار أنها مأخوذة من التحويل لتحواله من الإسناد إلى إسناد آخر، وأن القارئ إذا وصل إليها يقول (ح) ويستمر في قراءة ما بعدها

(١) كشف الظنون ج١ ص ٥٥٦، مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم ص ١٦-١٨.

وقيل إنها من حال بين الشيين إذا حجز لكونها حالت بين الإسناد وأنه لا يلفظ بها عند الانتهاء إليها بشيء وليست من الرواية وقيل إنها رمز إلى قوله الحديث ، وأن أهل المغرب كلهم يقولون إذا وصلوا إليها الحديث وقيل إنها رمز إلى لفظ (صح) وحسنت كتابتها لثلا يتوهم أنه سقط متن الإسناد الأول وهي كثيرة في صحيح مسلم قليلة في صحيح البخارى . ولطريقة التحويل التي انتهجها الإمام مسلم في كتابه ثمرة وهى الإيجاز حيث يكون للحديث أكثر من إسناد وبين الأسانيد اتفاق في بعض الرواة ومغايرة في البعض فبأتى بموضع الاختلاف وإذا ما انتهى إلى موضع الاتفاق يحول إلى إسناد آخر وذلك بدلا من أن يسوق كل رواية على حدة ولم يكثر الإمام مسلم رحمه الله في كتابه من التعليق ، وإذ ليس في كتابه منها إلا اثنا عشر موضعا وهى لمتابعات لا الأصول . وكل ما ورد في الكتاب من التعاليق إنما هو موصول من جهات صحيحة .

### رواة صحيح مسلم

روى صحيح مسلم رواة ثقات عرفوا بالورع والصلاح والثقة والحفظ وقد ذكر الإمام النووى فى مقدمة شرحه أن إسناد سماعه وسماع أهل زمانه لكتاب الإمام مسلم فى نهاية العلو بينه وبين مسلم ستة هم :

شيخه أبو إسحق ، ثم شيخ أبى إسحق منصور بن عبد المنعم القراوى ثم جد أبى منصور وهو محمد بن الفضل ثم شيخ الفردادى وهو أبى الحسين عبد الغافر الفارسى ثم شيخ الفارسى أبو أحمد الجلودى أبو إسحق إبراهيم ثم شيخه الإمام مسلم بن الحجاج . أما أبو إسحق إبراهيم بن أبى حفص عمر بن مضر الواسطى فكان معروفا بالصلاح والكرم والوقار توفى بالإسكندرية فى اليوم السابع من رجب سنة أربع وستين وستمائة .

وأما شيخ أبو إسحق فهو الإمام ذو الكنى أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوى النيسابورى نسب إلى فراوة وهى بلدة من ثغر الخرسان وكان شيخا جليلا فقه سمعه صحيح روى عن أبيه وجدده وجد أبيه أبى عبدالله محمد بن الفضل وروى عن غيرهم ، ولد فى رمضان سنة اثنتين وعشرين وخمسائة وتوفى بنيسابور فى شعبان سنة ثمان وستمائة .

وأما أبو عبدالله محمد بن الفضل الفراوى جد أبى منصور النيسابورى فكان بارعا فى الفقه والأصول كثير الروايات بالأساليب الصحيحة العالية وقد سمع المسانيد والصحاح

وأكثر عن مشايخ عصره، توفى فى العشر الأواخر من شوال سنة ثلاثين وخمسمائة وكان قد سمع صحيح مسلم من عبد الغافر فى السنة التى توفى فيها عبد الغافر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة بقراءة أبى سعيد البحرى.

وأما شيخ القراوى فهو أبو الحسين عبد الغافر بن محمد عبد الغافر بن أحمد بن محمد الفارسى النيسابورى التاجر وسمع مسلم من الجلودى سنة خمس وستين وثلاثمائة كان شيخا ثقة صالحا وقرأ الحافظ حسن السمرقندى عليه صحيح مسلم نيفا وثلاثين مرة كما قرأه عليه الكثيرون وتوفى يوم الثلاثاء السادس من شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

أما شيخ الفارسى فهو أبو أحمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن منصور الزاهد النيسابورى الجلودى، قال الحاكم أبو عبدالله: كان صالحا زاهدا من كبار عباد الصوفية توفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وأما شيخ الجلودى فهو أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابورى الفقيه الزاهد وكان من الملازمين لمسلم بن الحجاج، قال إبراهيم فرغ مسلم من قراءة الكتاب فى رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين ومات فى رجب سنة ثمان وثلاثمائة

وأما شيخ إبراهيم بن محمد بن سفيان فهو الإمام مسلم صاحب الكتاب.

وهكذا نرى هذا الإسناد المسلسل بالروايات الصحيحة عن الرواة الثقات لهذا الكتاب العظيم المسند الصحيح للإمام مسلم. قال النووى: وحصل لروايتنا لطيفة وهو أنه إسناد مسلسل بالنيسابوريين وبالمعمرين فإن رواته كلهم معمر بن كلهم نيسابوريون من شيخنا أبى إسحق إلى مسلم «أ.هـ»<sup>(١)</sup>

### عدد أحاديث صحيح مسلم

وعدد أحاديث صحيح مسلم دون المكررة أربعة آلاف، روى الإمام أبو عمرو بن الصلاح بسنده عن أبى قريش الحافظ قال: كنت عند أبى الرازى فجاء مسلم بن الحجاج فسلم على وجلس ساعة وتذاكرا، فلما قام قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث فى الصحيح قال أبو زرعة: فلمن ترك الباقي، وقال الشيخ: أراد أن كتابه هذا أربعة آلاف حديث أصول

(١) مقدمة النووى على صحيح مسلم ص٧.

دون المكررات<sup>(١)</sup>. وأما عدد صحيح مسلم بالمكرر فهو كثير، روى عن أحمد بن سلمة أنه قال: كتبت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث وقد انتقى الإمام مسلم هذه الأحاديث من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، فقد روى عنه أنه قال: «صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة». وقد وافق الإمام مسلم البخاري على تخريج ما فيه إلا ثمانى مائة وعشرين حديثاً، وجملة ما فى صحيح مسلم بإسقاط المكرر نحو أربعة آلاف، قال العراقى: وهو يزيد على البخارى بالمكرر لكثرة طرقه، قال وقد رأيت عن أبى الفضل أحمد بن سلمة أنه اثنا عشر ألف حديث، وقال الماينجى: ثمانية آلاف<sup>(٢)</sup>، وأرجح رأى ابن سلمة، فهو الذى اشترك مع الإمام مسلم فى كتابه الصحيح ومكث معه خمس عشرة سنة فرأى من مارس التدوين مع صاحب أقرب إلى الصحة.

### شروط الإمام مسلم فى صحيحه

اشترط الإمام مسلم أن يكون الحديث الصحيح السند متصلًا بنقل العدول الضابطين، خالياً من الشذوذ والعلّة كما اشترط فى «المعنعن»: المعاصرة، وقد ضرب الحازمى مثلاً بمعرفة طبقات الرواة بأصحاب الزهري وأنهم على خمس طبقات:

فالطبقة الأولى: «فى غاية الصحة، وهم شرط البخارى».

والطبقة الثانية: «شاركت الأولى فى العدالة غير أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري حتى كان فيهم من يزامله فى السفر، ويلزمه فى الحضر أما الطبقة الثانية فلم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه، وكانوا فى الإتقان دون الطبقة الأولى وهم شرط الإمام مسلم وأهل هذه الطبقة مثل: عبد الرحمن بن عمرو الأزوعى والليث بن سعد والنعمان بن راشد، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم».

الطبقة الثالثة: «جماعة لزموا الزهري مثل أهل الطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول وهم شرط أبى داود والنسائى نحو سفيان بن حسين السلمى وجعفر بن برقان» والإمام مسلم إنما يخرج أحاديث الطبقتين: الأولى والثانية على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذى يصنعه البخارى فى الثانية أى أنه يخرج من أحاديث الطبقة الثالثة ما يعتمد منه من غير استيعاب.

(١) مقدمة شرح النووى على صحيح مسلم ص ١٥.

(٢) تدريب الراوى ص ٥١.

وأما الرابعة والخامسة فلا يعرج عليهما، وقد سبق بيان أن الإمام البخارى اشترط فى الحديث المعنعن اللقاء مع المعاصرة بخلاف الإمام مسلم فإنه يكتفى بالمعاصرة ولا يشترط اللقاء وهذا يدل على أن مسلما اكتفى من الشروط بما هو دون شروط البخارى، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: شرط مسلم رحمه الله تعالى فى صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالما من الشذوذ والعلة، قال: وهذا حد الصحيح فكل حديث اجتمعت فيه هذه الشروط فهو صحيح بلا خلاف بين أهل الحديث، وما اختلفوا فى صحته من الأحاديث فقد يكون سبب اختلافهم انتفاء شرط من هذه الشروط، وبينهم خلاف فى اشتراطه كما إذا كان بعض الرواه مستورا أو كان الحديث مرسلا، وقد يكون سبب اختلافهم أنه هل اجتمعت فيه هذه الشروط أم انتفى بعضها؟.. وهذا هو الأغلب فى ذلك كما إذا كان الحديث فى رواته من اختلف فى كونه شرط الصحيح فإذا كان الحديث رواته كلهم ثقات غير أن فيهم الزبير المكى مثلا أو سهيل بن أبى صالح أو العلاء بن مسلم وليس بصحيح على شرط البخارى لكون هؤلاء عند مسلم مما اجتمعت فيهم الشروط المعتبرة ولم يثبت عند البخارى ذلك منهم «أ.ه».

وجاء عن الإمام مسلم أنه قال فى الصحيح: ليس كل شىء صحيح عندى وضعته هنا ولكن وضعت هنا ما أجمع عليه وقد نوقش فى ذلك حيث إن فيه أحاديث انتقدت عليه واختلف فى صحتها لكونها من حديث من اختلف فى صحة حديثه، وقد أجاب ابن الصلاح على ذلك فقال وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن مراده أنه لم يضع فيه إلا ما وجد عنده فيه شروط الصحيح المجمع عليه وإن لم يظهر اجتماعها فى بعض الأحاديث عند بعضهم.

والثانى: أنه أراد: «أنه لم يضع فيه إلا ما اختلف الثقات فيه فى نفس الحديث متنا أو إسنادا» ولم يرد «ما كان اختلافهم إنما هو فى توثيق بعض رواته وهذا هو الظاهر من كلامه»، فإنه قال ذلك لما سئل عن حديث أبى هريرة (فإذا قرئ فأنصتوا) هل هو صحيح؟.. فقال هو عندى صحيح فقيل: لم تضعها هنا؟ فأجاب بالكلام المذكور<sup>(١)</sup> «أ.ه»

وعلى كل فشرط الإمام مسلم دون شرط الإمام البخارى وقد كان للإمام مسلم فضل كبير فى ما دون فى صحيحه من الأحاديث الصحيحة التى انتفع العلماء بها فى التشريع والمواظ وكثير من الآداب تلك الأحاديث التى ما كانت لتأتى لو أنه شدد فى شرط كتابه الصحيح.

(١) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٢، ١١.

## ترك الإمام مسلم لبعض الأحاديث الصحيحة

اشترط الإمام مسلم في كتابه أن يخرج الأحاديث الصحيحة على شرطه ، ولكنه لم يلتزم استيعاب جميع الأحاديث الصحيحة ، ومن هنا وجدت أحاديث صحيحة كثيرة في كتب السنن الأربعة لم تخرج في كتاب مسلم ، ولا في كتاب البخاري كما وجدت أحاديث صحيحة في مسند الإمام أحمد بن حنبل ومستدرک الحاكم ومعجمي الطبراني الكبير والأوسط ومسند أبي يعلى وغير ذلك من المسانيد والمعاجم.

وقد سبق توضيح أن الإمام البخاري لم يستوعب الصحيح في كتابه ولا التزم استيعابه وأما بالنسبة للإمام مسلم فقد روى عنه أنه قال : (ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا إنما وضعت ههنا ما أجمع عليه) ومراده بذلك أنه لم يدون في كتابه إلا الأحاديث التي انطبقت عليها شروط الصحيح المجمع عليه وإلا لم يكن هذا الاجتماع ظاهرا في بعضها عند البعض.

وإذا تبين أن الإمام البخاري لم يستوعب الصحيح في كتابه ولا التزم استيعابه فليس لأحد من أهل الأهواء والبدع أن ينكر حديثا من الأحاديث الصحيحة متعللا بأنه ليس في الصحيحين واحتياطا لمثل ذلك عوتب الإمام مسلم على جمع الأحاديث الصحاح في كتاب ، فقد روى عن أبي زرعة الرازي أنه قال : إن هذه الطريقة تتيح لأهل البدع أن يجدوا السبيل إلى المعارضة إذا احتج عليهم بحديث يقولون ليس هذا من كتاب الصحيح كما عاتبه أبو عبدالله محمد بن مسلم بن وارة وقال له : نحو مما قاله أبو زرعة فقال له مسلم (إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحاح ولم أقل أن ما لم أخرج من الحديث في هذا الكتاب ضعيف ولكن خرجت هذا من الحديث الصحيح ليكون مجموعا عندي وعند من يكتبه عنى ولا يرتاب في صحتها ولم أقل أن ما سواه ضعيف).

ويتضح مما سبق أن الإمام مسلما لم يستوعب الصحيح كالبخاري ولا التزم فلا وجه إذا لإلزام من ألزم كل منهما إخراج أحاديث لم يخرجها مع كونها صحيحة على شرطهما كالدارقطني والبيهقي ، فإنهما لم يستوعبا الصحيح وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح كما يقصد المصنف في الفقه إلى جمع جملة من مسأله<sup>(١)</sup>.

وكما لم يستوعبا الأحاديث الصحيحة لم يستوعبا كذلك الرواة الذين توافرت فيهم صفات القبول والصحة وهم كثيرون فلا يلزم من عدم تخريج الشيخين لراو من الرواة في

(١) شروط الأئمة الخمسة ص ١٥ ، مقدمة شرح النووي ص ١٤.

الصحيحين سقوطه أو ضعفه ، وهناك جماعة من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين لم يخرج لهم فى الصحيحين وذلك لأن أحاديثهم كانت فى مأمن من الضياع لكثرة أصحابهم القائلين بروايتها شرقا وغربا وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضع أحاديثهم لولا عنايتهم بها. وقد يكون السبب فى ترك الشيخين لبعض الرواة أحيانا وجود ضعف فى الإسناد القائم بين هذا الراوى وبين صاحب الصحيح فيتترك طريقه وقد يكون السبب طلب الإسناد العالى بأن كان الحديث من طريق هذا الراوى نازلا ويكون من طريق غيره عاليا فيختار صاحب الصحيح الإسناد العالى لقربه.

### هل ترجم مسلم لكتابه كالبخارى؟

نهج الإمام مسلم فى تأليف كتابه نهجا حسنا اتسم بحسن التنسيق والتبويب فجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد ولم يفرقها فى الأبواب ولم يقطعها فى تراجم متعددة أو يكررها إلا لحاجة، وبهذا لم يصنع فى كتابه تراجم للأبواب وربما خشى إن ذكر ذلك أن يطول الكتاب، أو أنه أراد بعدم ذكر التراجم أن يعمل القارئ فكره فى الاستنباط. وقد نهض شراح صحيح مسلم فيها بعد فأولوه العناية التامة ووضعوا له التراجم، إلا أن بعض هذه التراجم كان جيدا والبعض غير جيد وسبب ذلك هو القصور فى عبارة الترجمة وعدم قوة الصياغة فيها وقد حرص الإمام النووى على ذلك فقال: وأنا إن شاء الله تعالى أحرص على التعبير عنها - أى التراجم - بعبارات تليق بها فى مواطنها. وهكذا قدم لنا الإمام النووى كتاب الإمام مسلم فى صورة سهلة المأخذ قريبة المنال فذلل كل عسير على القراء ويسر كل صعب على الباحثين.

### شروح صحيح مسلم

حظى صحيح مسلم كصحيح البخارى بعناية علماء المسلمين به، فقاموا بشرحه واختصاره ودراسة رجاله، ولئن كانت العناية بصحيح مسلم لم تبلغ مبلغ العناية بصحيح البخارى إلا أن ما لدينا من شروح صحيح مسلم يدل دلالة كبيرة على مدى ما قام به العلماء من اجتهاد وجد فى سبيل شرحه واستنباط ما فى أحاديثه من أحكام وأسرار ومن أشهر هذه الشروح: ١- شرح الإمام أبى زكريا محبى الدين بن شرف النووى، ولد فى المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وتوفى فى الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة فى

قرية «نوى» بالشام واليها نسب فقيل «أبو زكريا النووى» وسمى هذا الشرح: «المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج» نقل عن القاضى عياض والمازرى فى هذا الشرح، وقد راعى النووى التوسط حيث لا يكون مختصرا مخلا ولا طويلا مملا، وقد وضع منهجه فى المقدمة التى أبان فيها مقصده من شرح صحيح مسلم، وهو أن يكون شرحا وسطا، يوضح فيه الأحكام والعقائد والأخلاق والآداب، ويقوم بضبط الأسماء وشرح اللغات، ويوفق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث مع ذكر الأدلة كما تضمنت مقدمته شرحا لكثير من علوم الحديث.

والقارئ لشرح النووى يرى أنه أطال فى بعض المواضع وبسط القول بما فيه الإفادة والإفادة واختصر فى بعض المواضع مكتفيا بشرح مجمل للحديث قد لا يروى غلة الصادى وعلى كل فهو شرح جليل ومفيد، أبرز فيه الإمام النووى الموضوعات، وما تضمنته من أحكام فقهية فى نسق رائع ونظام يسير للباحثين نشدان ضالتهم، وذلك بما قام به من تبويب حسن للأحاديث. وقد طبع هذا الشرح فى الهند والقاهرة كثيرا.

٢- «المعلم بفوائد كتاب مسلم» للإمام أبى عبدالله المازرى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ.

٣- «إكمال المعلم فى شرح صحيح مسلم» للإمام القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ.

٤- شرح أبى الفرج عيسى بن مسعود الزواوى، المتوفى سنة ٧٤٤ هـ، وهو شرح كبير استوفى مادته من الشروح السابقة كالمناهج والمعلم وإكمال المعلم.

٥- «إكمال إكمال المعلم» للإمام أبى عبدالله محمد بن خليفة الأبى الوشنانى المتوفى سنة ٨٢٧ هـ، وقد ضمن هذا الشرح شروح المازرى وعياض والقرطبى والنووى ورمز بالحروف إلى أصحاب هذه الشروح فرمز «بالميم» إلى المازرى و «بالعين» إلى القاضى عياض، وبالطاء إلى «القرطبى» وبالذال إلى «محيى الدين النووى» وأبان فيه كثيرا من تفريعات الفقه خاصة مذهب المالكى، واشتمل هذا الشرح على كثير من الفوائد وأورد فيه كثيرا من آراء شيخه ابن عرفة فيقول: «قال الشيخ» ومراده شيخه ابن عرفة.

٦- شرح الإمام أبى عبدالله محمد بن محمد بن يوسف السنوسى الحسنى، توفى سنة ٨٩٥ هـ، اختصر شرح الآبى وزاد عليه بعض الفوائد، وأشار إلى الكتب التى نقل عنها واستفاد منها فرمز بحرف الميم إلى المازرى وبالعين إلى القاضى عياض وبالطاء إلى القرطبى وبالحاء إلى محيى الدين النووى، وبالباء إلى الآبى واسم هذا الشرح (مكمل إكمال الإكمال) وقد طبع هذا الشرح مع شرح الآبى فى كتاب واحد سنة ١٣٢٨ م. وهناك غير ذلك

شروح كثيرة مثل الديباج على شرح مسلم بن حجاج للحافظ جلال الدين السيوطى توفى بسنة ٩١١هـ، وكتاب الابتهاج، للعلامة أحمد بن محمد الخطيب القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣هـ وشرحه لم يتم، وشرح القاضى زين الدين زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ، وشرح الشيخ على القارئ الهروى الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤هـ فى أربعة مجلدات.

وهناك أيضا كثير من المختصرات التى تناولت اختصار صحيح مسلم وشرحه منها:  
١- مختصر الإمام أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبى المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وبعد أن لخص صحيح مسلم، ورتبه وبوبه قام بشرح غريبه وسمى شرحه: «المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم».

٢- مختصر الشيخ أبى عبدالله شرف الدين محمد بن عبدالله المرسى المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

٣- مختصر الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦هـ وقد قام عثمان بن عبد الملك المصرى المتوفى سنة ٧٣٨هـ، بشرح هذا المختصر. وإلى جوار هذه الشروح والمختصرات قام بعض العلماء ببيان زوائد صحيح مسلم على صحيح البخارى كما فعل سراج الدين عمر بن على بن الملحن الشافعى توفى سنة ٨٠٤هـ، كما قام بعضهم بالتأليف فى أسماء رجال مسلم مثل أبى بكر أحمد على الأصبهانى توفى سنة ٢٧٧هـ.

وهكذا تطلعنا هذه الشروح والمختصرات وغيرها من المستدركات والمستخرجات على عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية وما استهدفته جهودهم المخلصة من بيان ما تضمنته السنة من عقائد وأحكام وتشريعات وآداب، ولا سيما عنايتهم بصحيحى البخارى ومسلم. وفى هذا دلالة على أهمية الصحيحين وأنهما يحتلان منزلة سامية فى النفوس، وكيف لا وهما الكتابان النفيسان والصحيحان الجامعان اللذان تلقتهما الأمة بالقبول.



## البحث الثاني: السنن الإمام أبو داود السجستاني

سبق الحديث في البحث الأول عن صحيح البخارى ومسلم اللذين تلقتهما الأمة بالقبول وكانا أعلى كتب الحديث درجة من الصحة والثقة، وقد ظهر في القرن الثالث الهجرى أربعة من كتب الحديث النبوى لم تصل إلى ما وصل إليه الصحيحان فى دقة الانتقاء ولم يسم مؤلفوها فى شروط الرجال بالدرجة التى سما بها البخارى ومسلم ولكن هذه الكتب رغم ذلك احتلت درجة عالية من الصحة وحازت مكانة مرموقة جعلتها تضارع الصحيحين أو تقاربهما حتى أصبحت تضم إليهما فى اصطلاح بعض المحدثين وسميت جميعها كتب الصحاح الستة ومن هذه الكتب كتاب السنن للإمام أبى داود السجستاني.

### نسبه ونشأته:

هو الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني<sup>(١)</sup> والأزدي نسبة إلى الأزدي قبيلة باليمن والسجستاني نسبة إلى سجستان وينسب إليها سجزى أيضا على غير قياس، وهى مدينة بخراسان<sup>(٢)</sup>. وقد ولد الإمام أبو داود سنة اثنتين ومائتين<sup>(٣)</sup>، ونشأ مفطورا على محبة العلم وملازمة أهله، فنهض يتعلم منهم وينهل من مواردهم كما أخذ نفسه بالورع والعبادة حتى كان فى الدرجة العالية من النسك والصلاح<sup>(٤)</sup> وحظى تاريخ هذا الإمام بالثناء العاطر من العلماء والتقدير الكامل لما كان عليه من الورع والتقوى والحفظ التام والفهم الثاقب فى الحديث وغيره، يقول الحافظ أحمد بن محمد بن ياسين الهروى: كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله. وقال موسى بن هارون خلق أبو داود فى الدنيا للحديث وفى الآخرة للجنة<sup>(٥)</sup> وذلك لجمعه بين العلم والعمل وبين الإنفاق والورع، وبهذه

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ج٢ ص٢٢٤، وفيات الأعيان ج١ ص٢٦٨.

(٢) الرسالة المستطرفة للكتاتنى ص١١.

(٣) تاريخ بغداد ج٢ ص٥٦.

(٤) وفيات الأعيان ج١ ص٢٦٨.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ج٢ ص٢٢٦.

النشأة الطاهرة المبرورة كان أبو داود موضع حب العلماء وتقديرهم، يرحلون إليه ويتيمينون به، جاء سهل بن عبدالله التستري فقيل له: يا أبا داود هذا سهل بن عبدالله قد جاءك زائراً، فرحب به وأجلسه فقال له: يا أبا داود لى إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لسانك الذى حدثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله.

قال: فأخرج لسانه فقبله<sup>(١)</sup> وإنها لمحبة متلهفة وشوق متواصل وعاطفة جياشة وإكبار من معاصريه لما قام به من خدمة للسنة النبوية، فلقد كان هذا الإمام بحق قمة من قمم الحديث والفقه، ذا جلالة وحرمة، وصلاح وورع<sup>(٢)</sup>، وقال علان بن عبد الصمد: كان أبو داود من فرسان هذا الشأن، وقال أبو حاتم بن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقها وعلماء وحفظاً ونسكاً وإتقاناً جمع وصنف وذبح عن السنن، وهكذا تطلعنا شهادات العلماء على ما كان عليه هذا الإمام من علم وعمل، كما تلقى أضواء كاشفة على جوانب العظمة فى نشأته من حفظ وإتقان وورع ونسك.

### حياته العلمية:

عاش أبو داود حياة خصبة، لازم فيها مجالس العلم فى بلده، وشمر عن ساعد الجد فى تدوين الكثير، ولكن نفسه التواقفة للعلم المحبة للمعرفة تجعله يشد رحاله فى سبيل العلم، فطوف بكثير من البلاد، وأخذ عن علماء الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وقد مكنته رحلاته العلمية من لقاء كثير من شيوخ الأمصار التى كانت تروج بالعلم والعلماء، قال الحاكم أبو عبدالله: كان أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة سمعه بمصر والحجاز والشام وخراسان والعراق وكتب بخراسان قبل خروجه إلى العراق، وكتب ببغداد عن قتيبة وبالرى عن إبراهيم بن موسى إلا أن أعلى إسناده موسى ابن إسماعيل والقعنبي ومسلم بن إبراهيم<sup>(٣)</sup>. وبهذه الرحلات تمكن أبو داود من تدوين كثير من الأحاديث التى أودع خلاصتها فى كتابه العظيم «السنن» وقدم بغداد غير مرة وكانت آخر زيارته لها سنة اثنتين وسبعين ومائتين ثم دعاه بعد ذلك الخليفة الموفق أن ينزل بالبصرة ويتخذها له مقاما عسى أن يبعث فيها هو وتلاميذه الحياة والنشاط بعد أن ضعفت

(١) تهذيب التهذيب ج٤ ص١٧٢، وفيات الأعيان ج١ ص ٢٦٨.

(٢) مرآة الجنان لليافعى ج٢ ص١٩٠.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ج٢ ص ٢٢٦.

وركبت ريحها من أثر فتنة الزنج فنزل بها وتوفى فيها يوم ١٦ شوال سنة ٢٧٥هـ<sup>(١)</sup> وقيل مات بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين لأربع عشرة بقيت من شوال.

### شيوخه وتلاميذه:

أما شيوخ أبي داود الذين روى عنهم ونهل من منبعهم فهم كثيرون منهم من شارك البخارى ومسلما فيهما كأحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة وقتيبة بن سعيد، ومنهم كذلك عبدالله بن مسلمة القعنبي وموسى بن إسماعيل ومسلم بن إبراهيم وأبو الوليد الطيالسي وأحمد بن يونس وقتيبة بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة وإسحق بن راهويه وأحمد بن أبي شعيب وي زيد بن عبد ربه وغيرهم<sup>(٢)</sup> وقد عدّه الشيخ أبو إسحق الشيرازى فى طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد، وكذلك ذكره فى طبقات الحنابلة القاضى أبو الحسين محمد بن القاضى أبى يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ ولعل ذلك راجع إلى أن الإمام أحمد، كان من شيوخ أبى داود وقيل أنه كان شافعيًا<sup>(٣)</sup>.

وأرى أنه كان من المحدثين المجتهدين. ومما يشهد باجتهاده عمله الجليل فى كتابه السنن. وأما تلاميذه: فكثيرون منهم الترمذى والنسائى وأبو عوانة وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبو على اللؤلؤى وأبو بكر بن داسه وهما اللذان يرويان عنهم كتاب السنن<sup>(٤)</sup> وبحسبه فضلا أن روى عنه شيخه الإمام أحمد بن حنبل حديثا وهو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبى معشر الدارمى عن أبيه أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة فحسنها<sup>(٥)</sup> وقال عنه محمد بن مخلد كان أبو داود يفتى بمذاكرة مائة ألف حديث ولما صنف السنن وقرأه على الناس صار كتابه لأهل الحديث كالمصحف يتبعونه، وأقر له أهل زمانه بالحفظ أ.هـ<sup>(٦)</sup> وفى هذا ما يدل على قوة حفظه وإتقانه وثقة معاصريه فيما يرويه، وما يشهد له بالقدرة العلمية الفائقة.

(١) تاريخ الأدب العربى: كارل بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ج٢ ص ١٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص ٥٩، وفيات الأعيان ج١ ص ٢٦٨.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٢٩٤.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص ٢٢٤.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٢٤٩.

(٦) تهذيب التهذيب ج٤ ص ١٧٢.

## مؤلفاته:

ولأبى داود مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وعلى دقة بحثه ألّفها في مجالات مختلفة منها كتاب السنن، وكتاب المراسيل، وكتاب القدر، وكتاب دلائل النبوة، وكتاب ابتداء الوحي، وكتاب فضائل الأعمال، وكتاب الزهد، وكتاب الدعاء، وكتاب المسائل، وأعظم هذه المصنفات هو كتاب السنن الذي قال فيه الخطابي: إن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف في حكم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم وعليه معول أهل العراق ومصر والمغرب وكثير من أقطار الأرض<sup>(١)</sup>.

وقد اتسمت حياة أبى داود العلمية بالعزّة، والنظر إلى مساواة الناس أمام العلم لا تمييز بينهم ولا طبقة فيهم، قال أبو سليمان: حدثني عبدالله بن محمد السبكي قال: حدثني أبو بكر بن جابر خادم أبى داود قال: (كنت معه في بغداد فصلينا المغرب إذ قرع الباب ففتحته فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن فدخلت إلى أبى داود فأخبرته بمكانه فأذن له فدخل وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خلال ثلاث قال: وما هي؟ قال: الأرض، قال: هذه واحدة، هات الثانية، قال: تروى لأولادى كتاب السنن، قال: نعم، هات الثالثة. فقال: تفرد لهم للرواية. فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة فقال: أما هذه فلا سبيل إليها فإن الناس شريفهم ووضعهم في العلم سواء. قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة) «أ.هـ»<sup>(٢)</sup> وفي هذا ما يدل على اعتزازه بكرامة العلم والعلماء التي لا يفرق فيها بين الناس في طلب العلم وبعد هذه الجولة الطيبة في حياة أبى داود الناضرة الخصبة نلتقى مع أهم مصنفاته في الحديث ألا وهو كتاب (السنن).



(١) تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٢٢٦.

(٢) مقدمة تحفة الأحوذى ج١ ص١٢٩.

## سنن أبي داود

### التعريف بالكتاب:

كانت الكتب المصنفة في الحديث قبل سنن أبي داود يدون فيها أصحابها الأحاديث في شتى الموضوعات من أحكام وآداب وفضائل ومواعظ وقصص إلى أن جاء أبو داود فصنف كتابه السنن وسار فيه على طريق التخصص فحدد جانباً من جوانب السنة المطهرة وهو الجانب الفقهي. فجمع فيه السنن والأحكام وانتقاه من خمسمائة ألف حديث وبلغت أحاديثه أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها في الأحكام حتى جاء الكتاب حافلاً بأبواب الفقه وبالأحاديث التي يحتاج إليها الفقهاء في استدلالهم حتى قيل: «إنها تكفي المجتهد بعد كتاب الله تعالى».

وسمى مصنفه: (السنن)، لأنه جمع أحاديثه من وجهة نظر فقهية فلم يضمه غير أحاديث الفقه والتشريع مما ورد في الأخلاق والكلام والزهد ونحو ذلك<sup>(١)</sup> ولما انتهى أبو داود من تصنيف كتابه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فاستجازه واستحسنه، وقال إبراهيم الحربي: لما صنف أبو داود كتاب السنن ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد، وقال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعني السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام أبو سليمان الخطابي: (اعلموا رحمكم الله تعالى أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من كافة الناس فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فلكل منه ورد ومنه شرب وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من الأقطار فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاء إلا أن كتاب أبي داود أحسن وضعاً وأكثر فقهاً وكتاب أبي عيسى كتاب حسن والله يغفر لجماعتهم ويحسن على جميل النية. ومن أقوال

(١) تاريخ الأدب العربي ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٨٦.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ ص ٢٦٨، طبقات الشافعية ج٢ ص ١٩٥.

العلماء السابقة يتضح فضل الإمام أبي داود ومنزلة مصنفه النفيس الذي بلغ درجة عظيمة في صناعة الحديث ذلل بها الصعب ويسر العسير وقرب البعيد.

وقد سبق بيان عدد ما في كتاب السنن من الأحاديث وأنها أربعة آلاف وثمانمائة حديث وقد قسم أبو داود كتابه إلى كتب والكتب إلى أبواب وقد عد بعض العلماء أحاديث السنن فبلغت خمسة آلاف ومائتين وأربعة وسبعين حديثاً. وهذا الاختلاف راجع لأمرين. الأول: أن بعض النسخ المحققة اختلفت بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير في بعض الأحاديث. الثاني: أن النسخة التي زاد تعداد الأحاديث فيها اعتبر محققها الأحاديث المكررة أحاديث مستقلة وعد جمع المتون حتى ولو كانت بلفظ واحد أو متقارب مادامت الأسانيد مختلفة وعلى ذلك فيمكن التوفيق بين رأى الإمام أبي داود في عدد الأحاديث وبين رأى بعض المحققين وذلك بأن أبا داود أراد بما ذكره الأحاديث الأصلية دون المكرر. ومن أشهر رواة كتاب السنن لأبي داود:

١- أبو بكر محمد بن بكر بن محمد عبد الرزاق الثمارى المصرى المعروف بابن داسة المتوفى سنة ٣٤٦ هـ وروايته هى أكمل الروايات وهى الرائجة بالمغرب.

٢- أبو عيسى إسحق بن موسى بن سعيد الرملى وراق أبى داود وروايته تقارب رواية ابن داسة.

٣- أبو على محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى البصرى وهى من أصح الروايات لأنها من آخر ما أملى أبو داود عليها مات كان ذلك فى المحرم سنة ٢٧٥ هـ وهى مشهورة فى المشرق.

٤- أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر المعروف بابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ وفيها بعض أبواب ساقطة ونقص كبير. وقد عنى العلماء بكتاب السنن فقام كثير منهم بشرحها واتجهت عناية البعض إلى اختصارها وتهذيبها وهذه العناية وإن لم تبلغ درجة الصحيحين إلا أنها تدل على جهود مشكورة لعلماء السنة تجاه هذا المصنف الجليل ومن أهم هذه الشروح:

١- معالم السنن لأبى سليمان أحمد - وقيل - ابن إبراهيم الخطابى المتوفى فى سنة ٣٨٨ هـ، اهتم فيه بتحقيق الروايات واللغات وتفسير المعانى الغامضة واستنباط الأحكام الفقهية وهو مطبوع بمصر وغيرها.

٢- شرح الشيخ سراج الدين عمر بن على بن الملتن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ هـ شرح زوائده على الصحيحين فى مجلدين.

- ٣- شرح الشيخ قطب الدين أبي بكر اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٢ هـ فى أربعة مجلدات كبار.
- ٤- شرح الشيخ ولى الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦ هـ ولكنه لم يكمله وتوسع فى الشرح والتحليل من أوله إلى سجود السهو.
- ٥- شرح العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ولم يكمل.
- ٦- مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود شرح الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ.
- ٧- فتح الودود شرح سنن أبى داود لأبى الحسن محمد بن عبد الحميد السندى المتوفى سنة ١١٣٨ هـ.
- ٨- عون المعبود على سنن أبى داود للشيخ عبد الرحمن شرف الحق ابن محمد أشرف ابن أمير بن على حيدر المتوفى فى القرن الرابع عشر الهجرى وطبع شرحه فى الهند فى أربعة أجزاء.
- ٩- عناية المقصود فى حل سنن أبى داود لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى ولد سنة ١٢٧٣ هـ وشرحه شرح جامع وافى.
- ١٠- المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبى داود للشيخ محمود بن محمد خطاب السبكى عنى فيه بتراجم رجال الحديث وشرح الألفاظ وتوضيح المعانى واستنباط الأحكام الفقهية وذكر من أخرج الحديث وبيان درجة الحديث من الصحة وقد وافاه الأجل فى الرابع عشر من ربيع الأول ١٣٥٢ هـ قبل إتمام هذا الشرح. وغير ذلك كثير من الشروح، وممن قام باختصاره الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ فى كتاب سماه المجتبى من سنن أبى داود وكان المنذرى دقيقا فى مختصره، إذ كان يذكر عقب كل حديث من اتفق مع أبى داود على تخريج الحديث من الأئمة الخمسة، كما وضع علل بعض الأحاديث، وألف السيوطى على هذا المختصر كتابا سماه (زهر الربا على المجتبى) وله عليه حاشية أيضا وهذبه محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلى المتوفى سنة ٧٥١ هـ وزاد فى الكلام عن بعض العلل التى سكت عنها المنذرى أو لم يكملها وتصحيح بعض الأحاديث التى لم يضمها وبسط العديد فى كثير من الجوانب الهامة<sup>(١)</sup>.

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٠٥، تاريخ الأدب العربى. أعلام المحدثين للدكتور محمد أبو شهبة. الحديث والمحدثون.

## رسالة أبي داود في وصف سننه

وأذكر هنا رسالة الإمام أبي داود في وصف سننه وهي الرسالة التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها جواباً لهم، وقد تضمنت هذه الرسالة منهجه في السنن وشرطه وهذا نصها: «سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ كلما ذكر.

أما بعد، عافانا الله وإياكم عافية لا مكروه معها ولا عقاب بعدها فإنكم سألتكم أن أذكر الأحاديث التي في كتاب السنن أهي أصح ما عرفت في الباب ووقف على جميع ما ذكرتم فاعلموا أنه كذلك كله، إلا أن يكون قد روى من وجهين صحيحين فأحدهما أقدم إسناداً، والآخر صاحبه قدم في الحفظ فربما كتبت ذلك (أى الأقوم في الإسناد لعلو سنده) ولا أرى في كتابي من هذا عشرة أحاديث ولم أكتب في الباب إلا حديثاً أو حديثين وإن كان في الباب أحاديث صحاح لأنه يكثر وإنما أردت قرب منفعته، وإذا أعدت الحديث في الباب من وجهين وثلاثة فإنما هو من زيادة كلام فيه، وربما فيه كلمة زيادة على الأحاديث وربما اختصرت الحديث الطويل لأنى لو كتبت بطوله لم يعلم بعض من سمعه ولا يفهم موضع الفقه منه فاختصرته لذلك.

وأما المرسل فقد كان يحتج به العلماء فيما مضى مثل سفیان الثوري، ومالك بن أنس والأوزاعي، حتى جاء الشافعي فتكلم فيه وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم، فإذا لم يكن مسند ضد المرسل ولم يوجد مسند فالمرسل يحتج به وليس هو مثل المتصل في القوة.

وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء، وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر، وليس على نحوه في الباب غيره.

وهذه الأحاديث ليس منها في كتاب ابن المبارك ولا كتاب وكيع إلا الشيء اليسير، وعامته في كتاب هؤلاء مراسيل، وفي كتاب السنن من موطأ مالك بن أنس شيء صالح، وكذلك من مصنفات حماد بن سلمة وعبد الرزاق، وليس ثلث هذه الكتب فيها أحسبه في كتب جميعهم أعنى مصنفات مالك بن أنس وحماد بن سلمة وعبد الرزاق وقد ألفته نسقا على ما وقع عندي، فإن ذكر لك عن النبي ﷺ سنة ليس مما خرجته فاعلم أنه حديث واه إلا أن يكون في كتابي من طريق آخر فإني لم أخرج الطريق لأنه يكثر على المتعلم.

ولا أعرف أحدا جمع على الاستقصاء غيرى، وكان الحسن بن علي الخلال قد جمع منه قدر تسعمائة حديث، وذكر أن ابن المبارك قال: السنن عن النبي ﷺ نحو تسعمائة حديث فقليل له: إن أبا يوسف قال: هي ألف ومائة، قال ابن المبارك: أبو يوسف يأخذ بتلك الهنات من هنا وهنا نحو الأحاديث الضعيفة وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، وفيه ما لا يصح سنده، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح، وبعضها أصح من بعض. وهذا لو وضعه غيرى لقلت أنا فيه أكثر، وهو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ بإسناد صالح إلا وهي فيه إلا أن يكون كلاما استخراج من الحديث ولا يكاد يكون هذا، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب. ولا يضر رجلا أن لا يكتب شيئا من العلم بعد ما يكتب هذه الكتب. وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره. وأما هذه المسائل مسائل الثورى ومالك والشافعى فهذه الأحاديث أصولها ويعجبني أن يكتب الرجل مع هذه الكتب من رأى أصحاب النبي ﷺ ويكتب أيضا مثل جامع سفيان الثورى فإنه أحسن ما وضع الناس فى الجوامع.

والأحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهى عند كل من كتب شيئا من الحديث إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فإنه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم، ولو احتج رجل بحديث غريب وجدت من يطعن فيه ولا يحتج بالحديث الذى قد احتج به إذ كان الحديث غريبا شاذًا، فأما الحديث المشهور المتصل الصحيح فليس يقدر أن يرد عليك أحد، وقال إبراهيم النخعى: كانوا يكرهون الغريب من الحديث. وقال يزيد بن أبى حبيب: إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة فإن عرف وإلا فدعه.

وإن من الأحاديث فى كتابي السنن ما ليس بمتصل وهو مرسل ومدلس وهو إذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل وهو مثل الحسن عن جابر، والحسن عن أبى هريرة والحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بمتصل، وسماع الحكم من مقسم عن ابن عباس وليس بمتصل، وسماع الحكم من مقسم أربعة أحاديث.

وأما أبو إسحق عن الحارث عن على فلم يسمع أبو إسحق عن الحارث إلا أربعة أحاديث ليس فيها سند واحد. وأما ما كان فى كتاب السنن من هذا النحو فقليل ولعله ليس للحارث الأعور فى كتاب السنن إلا حديث واحد فإنما كتبه بأخره وربما كان فى

الحديث ما ثبت صحة الحديث منه إذا كان يخفى ذلك على فريما تركت الحديث إذا لم أفقهه ، وربما كتبتة وبينته ، وربما لم أقف عليه ، وربما أتوقف عن مثل هذه لأنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان فى هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا.

وعدد كتب هذه السنن ثمانية عشر جزءا مع المراسيل منها جزء واحد مراسيل وما روى عن النبى ﷺ من المراسيل منها ما لا يصح ومنها ما هو مسند عن غيره وهو متصل صحيح ولعل عدد الذى فى كتبى من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة ، ونحو ستمائة حديث من المراسيل فمن أحب أن يميز هذه الأحاديث مع الألفاظ فريما يجىء حديث من طريق وهو عند العامة من طريق الأئمة الذين هم مشهورون غير إنه ربما قلب اللفظة التى يكون لها معان كثيرة وممن عرفت نقل فى جميع هذه الكتب فريما يجىء الإسناد فيعلم من حديث غيره أنه غير متصل ، ولا يتبينه السامع إلا بأن يعلم الأحاديث ويكون له فيه معرفة فيقف عليه مثل ما يروى عن ابن جريج ، قال : أخبرت عن الزهرى ويرويه البرسانى عن ابن جريج عن الزهرى ، فالذى يسمع يظن أنه متصل ولا يصح عنه فإنما تركناه لذلك ، لأن أصل الحديث غير متصل ولا يصح ولم أصنف فى كتاب السنن إلا الأحكام ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها فهذه الأربعة آلاف والثمانمائة كلها فى الأحكام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل» «أ.ه»<sup>(١)</sup>.

### منهج أبى داود فى كتاب السنن

كان منهج أبى داود فى كتابه متجها إلى تدوين الحديث فى جانب من جوانب السنة النبوية وهو الجانب الفقهي فجعل كتابه خاصا بالأحكام والسنن وأبرز فيه هذه الثروة الفقهية العظيمة التى امتاز بها على من عداه فقسم مصنفه إلى كتب وقسم الكتب إلى أبواب كما سبق بيان ذلك وجمع فى هذه الأبواب الأحاديث التى يستدل بها الفقهاء ويبنون عليها الأحكام كما سجل التراجم على الأحاديث مما يشهد له بالمعرفة الدقيقة لمذاهب العلماء والإحاطة الكاملة بطرقهم فى الاستدلال.

(١) رسالة الإمام أبى داود السجستاني فى وصف تأليفه لكتاب السنن رواية أبى الحسين بن جميع بن محمد بن عبدالعزيز الهاشمى عنه بتقديم وتعليق الأستاذ محمد زاهد الكوثرى طبع مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ.

ولم يلتزم أبو داود بتخريج الصحيح فحسب ، بل خرج الصحيح والحسن لذاته ولغيره وما لم يجمع الأئمة على تركه وأما ما فيه وهن شديد فقد بينه ونبه عليه ، قال أبو داود : «وجمعت فيه الصحيح وما يشبهه ويقاربه وما ذكرت في كتابي حديثا أجمع الناس على تركه . وما كان من حديث فيه وهن شديد فقد بينته وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح» (أ. هـ).

ومما سبق يتبين أنواع ما جمعه من الأحاديث في سننه :

أولاً : (الصحيح) ويجوز أن يريد به الصحيح لذاته .

ثانياً : (ما يشبهه) ويمكن أن يريد به الصحيح لغيره فهو الذى يشبه الصحيح لذاته ومرتبته بعده .

ثالثاً : (ما يقاربه) ويتحمل أن يريد به الحسن لذاته .

رابعاً : (ما كان فيه وهن شديد).

خامساً : ما لم يذكر فيه شيئا . وهذا النوع يحتمل أن يكون حسنا لغيره إن اعتضد ويحتمل أن يكون فيه وهن غير شديد فهو صالح للاعتبار فقط .

ويقول الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوى عن كتاب السنن ومنهج أبى داود فيه : «وكانت همته جمع الأحاديث التى استدل بها الفقهاء ودارت فيهم وبنى عليها الأحكام علماء الأمصار فصنف سننه وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل . قال أبو داود : «ما ذكرت في كتابي حديثا أجمع الناس على تركه» ، وما كان منها ضعيفا صرح بضعفه وما كان فيه علة بينها بوجه يعرفه الخائض فى هذا الشأن وترجم على كل حديث بما قد استنبط منه عالم وذهب إليه ذاهب ولذلك صرح الغزالي وغيره بأن كتابه كاف للمجتهد»<sup>(١)</sup> .

وقال أبو عمرو بن الصلاح معلقا على طريقة أبى داود فى سننه : فعلى هذا ما وجدناه فى كتابه مذكورا مطلقا وليس فى واحد من الصحيحين ولا نص على صحته أحد ممن يميز بين الصحيح والحسن عرفنا بأنه من الحسن عند أبى داود وحكى أبو عبدالله بن منده الحافظ أنه سمع محمد بن سعد البارودى بمصر يقول : كان من مذهب أبى عبد الرحمن النسائى أن يخرج عن كل من يجمع على تركه أى فى سننه الكبرى . قال ابن منده : وكذلك أبو داود السجستاني يأخذ مأخذه ويخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد فى الباب غيره ، لأنه أقوى عنده من رأى الرجال»<sup>(٢)</sup> .

(١) حجة الله البالغة للدهلوى ج ١ ص ١٢١ .

(٢) مقدمة بن الصلاح ص ١٥ .

وقال السيوطي: فعلى ما نقل عن أبي داود يحتمل أن يريد بقوله: «صالح» الصالح للاعتبار دون الاحتجاج فيشمل الضعيف أيضا وروى ابن كثير عن أبي داود قال: «وما سكت عنه فهو حسن»<sup>(١)</sup> فإن صح ذلك فلا إشكال.

وقال الحافظ ابن حجر: أن قول أبي داود: «وما فيه وهن شديد بينته» يفهم منه أن ما يكون فيه وهن غير شديد لم يبينه ومن هنا يتبين لك أن جميع ما سكت عنه أبو داود لا يكون من الحسن الاصطلاحى، بل هو على أقسام:

منها ما هو صحيح أو على شرط الصحة، ومنها ما هو حسن لذاته ومنها ما هو حسن لغيره وهذان القسمان كثيران فى كتابه جدا، وفيه ما هو ضعيف ولكنه من رواية من لم يجمع على تركه غالبا، وكل من هذه الأقسام تصلح عنه للاحتجاج بها كما نقل ابن منده عنه<sup>(٢)</sup>.

ونستطيع أن نخلص من هذه الآراء العلمية فى منهج أبى داود بالآتى:

أولا: أنه يخرج فى الباب أصح ما عرفه فيه.

ثانيا: إذا خرج حديثا فيه ضعف شديد فقد اشترط أن ينبه على ضعفه أو علته.

ثالثا: أن ما ذكره بإطلاق من غير أن ينبه عليه أو يبينه فهو - فى رأيه - صالح، وقد

حمل بعض العلماء كلمة «صالح» على أنه حسن أخذا من قوله: «وما سكت عنه فهو حسن»

وحملها البعض على الصلاحية للاعتبار لا للاحتجاج فيشمل الضعيف.

وأرى أن ما أطلقه أبو داود، ولم يبين درجته ينبغى أن نبحث عن درجته وأن نحققه

ثم بعد ذلك يتضح الحكم عليه بما يليق به صحة أو حسنا أو ضعفا، فإن مقاييس العلماء

تختلف باختلاف وجهة نظرهم فى الشروط وفهمهم لها، فما يكون من الأحاديث صالحا

عند بعضهم للاحتجاج قد يكون فى نظر غيرهم ليس صالحا.

وهكذا اتضح لنا أن منهج أبى داود فى تدوين الحديث ينم عن معرفة دقيقة لمذاهب

العلماء وطرقهم وعن رسوخ قدمه فى الصناعة الحديثية ومعرفة العلل واستنباط ما فى

الحديث من دقائق وأحكام، ولئن دون فى كتابه بعضا من الأحاديث التى فيها ضعف أو

علة فإنه إنما دونها لأنها كانت تدور بين العلماء ونبه على ما فيها من ضعف كما إنه وضح

ما فيه علة بالوجه الذى يعرفه أهل الشأن فى ذلك وأما ما لم يوضحه فهو صالح كما قال

وتركه لمعرفة أهل الشأن به والتمييز بينه وبين غيره.

(١) تدريب الراوى ص ٩٧.

(٢) المنهل العذب المورود ج ١ ص ١٨.

## شرطه فى السنن

اشترط الإمام أبو داود أن يذكر فى كل باب أصح ما عرفه فى ذلك الباب وقد سبق ما قاله أبو عبدالله بن منده عنه أنه يخرج الضعيف إذا لم يجد فى الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأى الرجال. وكما سبق فى رسالة أبى داود أنه اشترط أن يخرج أصح ما عرف فى الباب ثم قال: «إلا أن يكون قد روى من وجهين صحيحين فأحدهما أقدم إسنادا والآخر صاحبه قدم فى الحفظ فربما كتبت ذلك ولا أرى فى كتابى من هذا عشرة أحاديث» والإشارة تعود على الأقدم فى الإسناد لعلو سنده وأما قوله: «وليس فى كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شيء وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر» فمراده أنه لم يخرج لمتروك الحديث عنده على ما ظهر له أو متروك متفق على تركه فإنه قد أخرج لمن هم فى عداد المتروكين عند بعضهم كعمرو بن واقد الدمشقى ومحمد بن عبد الرحمن البيلمانى وإسحق بن عبدالله بن أبى فروة وقد رأى ابن طاهر أن كتاب أبى داود والنسائى ينقسم على ثلاثة أقسام: القسم الأول: الصحيح المخرج فى الصحيحين.

القسم الثانى: صحيح على شرطهما حكى أبو عبدالله بن منده أن شرط أبى داود والنسائى إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال فيكون هذا القسم من الصحيح إلا أنه طريق دون طريق ما أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

القسم الثالث: أحاديث أخرجوها من غير قطع منها بصحتها وربما أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة وإنما أودعا هذا القسم فى كتابيهما لأنه رواية قوم لها واحتجاجهم بها فأورداها وبيننا سقمها لتزول الشبهة وذلك إذا لم يجدا إليها طريقا غيره لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال<sup>(١)</sup>.

وقد ضرب الحازمى مثلا لمعرفة طبقات الرواة لأصحاب الزهري وأنهم على خمس طبقات وجعل الطبقة الثالثة جماعة لزموا الزهري مثل أهل الطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح، فهم بين الرد والقبول وهم شرط أبى داود والنسائى نحو سفيان ابن حسين السلمى وجعفر بن برقان.

(١) شروط الأئمة الستة ص ١٢.

## مثال للأحاديث التي بها وهن وبئنه أبو داود

في الجزء الأول من سنن أبي داود، وفي كتاب الطهارة، تحت عنوان<sup>(١)</sup>: «باب الخاتم يكون فيه ذكر الله يدخل به الخلاء» قال: حدثنا نصر بن علي، عن أبي علي الحنفي، وعن همام عن ابن جريج عن الزهري عن أنس قال: «كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه» قال أبو داود: هذا حديث منكر، وإنما يعرف عن ابن جريج عن زيادة ابن سعد عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ «اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه» والوهوم فيه من همام، ولم يروه إلا همام.

فهذا الحديث بينه أبو داود وأصدر فيه حكمه وفاء بشرطه الذي التزمه أن ما كان فيه وهن بينه وقد خرج النسائي هذا الحديث، وقال عنه: «غير محفوظ» ومام بن يحيى هذا ثقة واحتج به أهل الصحيح، ولكنه خالف الناس فروى عن ابن جريج هذا المتن بهذا السند، وإنما روى الناس عن ابن جريج الذي أشار إليه أبو داود، ولهذا حكم عليه أبو داود بالنكارة. وأما الترمذي فقال فيه: حديث حسن صحيح غريب؛ وذلك لأن الترمذي أجرى حكمه على ظاهر الإسناد، وقول أبي داود والنسائي أولى بالصواب.

وقد ورد الحديث من غير رواية همام، فقد رواه الحاكم في المستدرک والبيهقي في سننه من رواية يحيى بن المتوكل عن ابن جريج، وصححه الحاكم على شرط الشيخين وضعفه البيهقي، فقال: هذا شاهد ضعيف، وكأن البيهقي ظن أن يحيى بن المتوكل هو أبو عقيل وهو ضعيف عندهم وليس هو به، وإنما هو بأهل يكنى أبا بكر ذكره ابن حبان في الثقات، ولا يقدر فيه قول ابن معين، لا أعرفه، فقد عرفه غيره وروى عنه نحو من عشرين نفسا إلا أنه اشتهر لفرد همام به عن ابن جريج<sup>(٢)</sup>.

## مثال لما سكت عنه أبو داود

في الجزء الثاني من سنن أبي داود من كتاب الزكاة تحت عنوان<sup>(٣)</sup>: «باب حق السائل» قال: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، ثنا مصعب بن محمد بن شرحبيل حدثني

(١) سنن أبي داود ج ١ ص ٥ ط مطبعة مصطفى محمد.

(٢) فتح المغيب للعراقي ج ١ ص ٩٣ تعليق الأستاذ محمود ربيع.

(٣) سنن أبي داود ج ٢ ص ١٢٦ ط مطبعة مصطفى محمد.

يعلى بن أبي يحيى، عن فاطمة بنت حسين، عن حسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على فرس» وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده هذا الحديث: عن وكيع وعبد الرحمن بن مهدي كليهما عن سفيان عن مصعب بن محمد بن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها حسين بن علي عن النبي ﷺ، وهو إسناد جيد، ويعلى وإن جهله أبو حاتم فقد وثقه أبو حاتم ابن حبان، وأما مصعب فوثقه يحيى بن معين وغيره. وهذا الحديث سكت عنه أبو داود، وما سكت عنه فهو صالح، وقد أخرجه أبو داود أيضا من حديث علي قال: حدثنا محمد بن رافع ثنا يحيى بن آدم ثنا زهير عن شيخ قال: رأيت سفيان عنه عن فاطمة بنت حسين عن أبيها عن علي عن النبي ﷺ، مثله، وفي هذا الإسناد ما لم يسمه أبو داود.

### درجة أحاديث السنن

بين ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) درجة أحاديث كتاب أبي داود، فجعل سننه من كتب الطبقة الثانية وهي الكتب التي عرف مصنفوها بالثقة والضبط والعدالة والتبحر في فنون الحديث، ولم يتساهلوا فيما اشترطوه على أنفسهم في تدوين أحاديث هذه الكتب فتلقاها المحدثون والفقهاء بالقبول، وعنوا بها طبقة بعد طبقة، وعدها من هذه الطبقة الثانية التالية للصحيحين وفي رأيه أنها لم تبلغ مبلغ الصحيحين ولكنها تتلوها<sup>(١)</sup> وصرح الدهلوي في موضع آخر بدرجات الأحاديث المدونة في سنن أبي داود، فقال: «جمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل»<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

وقد أبرز أبو داود أهمية كتابه، ودرجته في السنة: ولا أعلم بعد القرآن شيئا أُلزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث أحدها: (إنما الأعمال بالنيات) الثاني: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) الثالث: (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه) الرابع: (الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات) أ.هـ. وقول أبي داود هذا يوضح منزلة الكتاب، لأنه إذا كان هذا حال أربعة أحاديث فقط فما ظن القارئ بباقي الكتاب؟ وعلى ما فى قوله من المبالغة، فإن فى هذه الأحاديث الأربعة الكفاية إجمالا لطلب النجاة والفوز كما وجهها بعض العلماء

(١) حجة الله البالغة للدهلوي ج ١ ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٢١.

فالحديث الأول يوضح أن الأعمال الشرعية لا يعتد بها إلا بالنية الخالصة والثاني : يوجه المسلم إلى ما ينفعه في الدين والدنيا وترك ما لا ينفع فيه والثالث : يوضح علاقة المسلم بأخيه والرابع : أصل في معرفة الحلال والحرام<sup>(١)</sup> وقال ابن السبكي في طبقاته : (وهي – أى سنن أبي داود – من دواوين الإسلام. والفقهاء لا يتحاشون من إطلاق لفظ الصحاح عليها وعلى سنن الترمذى لا سيما سنن أبي داود)<sup>(٢)</sup>. أ.هـ

وقد انتقد الحافظ ابن الجوزى بعض أحاديث من سنن أبي داود وعدّها من الموضوعات وهى تبلغ<sup>(٣)</sup> تسعة أحاديث وقد أجاب عنها الإمام السيوطى ، وحتى لو سلم لابن الجوزى الحكم عليها، فهى قليلة بالنسبة إلى مجموع أحاديث السنن وممن دافع عن كتاب أبي داود ونفى وجود الموضوع فيه الإمام الخطابى قال : «كتاب أبي داود جامع لنوعى الصحيح والحسن وأما السقيم فعلى طبقات شرها الموضوع ثم المقلوب ثم المجهول، وكتاب أبي داود خلا منها برىء من جملة وجهها أ.هـ. وقد ذكر الذهبي أن أعلى ما فى كتاب أبي داود من الثابت ما أخرج الشيخان وذلك نحو شطر الكتاب، ثم يليه ما أخرج الشيخان ورغب عنه الآخر ثم يليه ما رغب عنه وكان إسناده جيدا سالما من علة وشذوذ ثم يليه ما كان صالحا، وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لينين فصاعدا، ثم يليه ما ضعف إسناده لنقص حفظ راويه فمثل هذا يسكت عنه أبو داود غالبا وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارتة<sup>(٤)</sup>.



(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٠٥، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) أعلام المحدثين للدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٢٢.

(٣) التعليقات على الموضوعات للسيوطى ص ٦٠.

(٤) قواعد التحديث ٢٤٦ القاسمى.

## الإمام الترمذى

### نسبه ونشأته:

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الضرير البغوى الترمذى الحافظ، أحد الأئمة المقتدى بهم فى علم الحديث والسلمى نسبة إلى بنى سليم قبيلة من عيلان والبغوى نسبة إلى بوغ قرية من قوى ترمذ على فراسخ منها، وقد ولد مبصراً على أصح الآراء ثم كف بصره فى آخر عمره بعد أن رحل وحفظ وأتقن وصنف<sup>(١)</sup> وكان جد أبى عيسى مروزيًا وانتقل إلى ترمذ فأقام بها وولد بها حفيده أبو عيسى ولم يحدد المؤرخون تاريخ مولده وإنما حصرُوا سنة ميلاده فى العقد الأول من القرن الثالث. والذى أرجحه أنه ولد سنة تسع ومائتين، وذلك لأن معظم المؤرخين متفقون على أنه توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الإثنين سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ، ويرى الذهبى أنه كان من أبناء السبعين<sup>(٢)</sup> فدل هذا على أن مولده سنة تسع ومائتين. وما أن شب الترمذى عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال إلا وأخذ يستقى العلم من منابعه فتتلمذ على شيوخ بلده وغيرها وأخذ عن أئمة الحديث وكبار الشيوخ وجمع بين العلم والعمل فكان حافظاً ثقة وتقياً ورعاً مشهوداً له بالأمانة والضبط. ونشأ الترمذى محباً للسنة منذ صغره، وساعده على الوصول إلى الدرجة العلمية السامية ورعه وتقواه وقوه حافظته وسيلان ذهنه، ومما يشهد له بذلك ما رواه الحافظ ابن حجر: عن أحمد بن عبدالله بن أبى داود قال: سمعت أبا عيسى الترمذى يقول: كنت فى طريق مكة وكنت كتبت جزءين من أحاديث شيخ فمر بنا ذلك الشيخ فسألته عنه فقالوا: فلان فرحلت إليه وأنا أظن أن الجزءين معى وإنما حملت معى فى محمل جزءين غيرهما شبههما فلما ظفرت به سألته فأجاب وأخذ يقرأ من حفظه ثم لمح فرأى البياض فى يدي فقال: أما يستحى منى؟ فقصصت عليه القصة وقلت له: إني أحفظه كله، فقال: اقرأ فقرأته عليه على الولاة قال: هل استظهرت قبل أن تجيء إلى؟ قلت: لا. ثم قلت له حدثنى بغيره فقرأ على أربعين حديثاً من غرائب حديثه ثم قال: هات فقرأت عليه من أوله إلى آخره فقال: ما رأيت

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٦١٢، تذكرة الحفاظ، تهذيب التهذيب.

(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١١٧، وفيات الأعيان ج ١ ص ٦١٣.

مثلك<sup>(١)</sup>. وفي هذا ما يدل على قوة حفظه وحدة ذكائه حتى كان يضرب به المثل في الحفظ ويقال فيه أنه من أوعية العلم.

### حياته العلمية:

حبيب إلى الإمام الترمذى العلم منذ صغره فشغل حياته بطلبه وكان شغوفا به فتتلمذ على شيوخ بلده ثم أراد أن يجمع العلم من البلاد الأخرى ليضمه إلى ما أخذه عن شيوخ بلده فطوف في كثير من البلاد كما هو شأن غيره من الأئمة والعلماء رحل في طلب الحديث إلى الأمصار بعد أن جاوز العشرين من عمره، فذهب إلى خراسان وتتلمذ على الشيوخ إسحق بن راهويه ومحمد بن عمر والسواق، وما لبث أن رحل إلى العراق فسمع الحفاظ من شيوخ الحديث ثم رحل إلى الحجاز وغير ذلك من البلاد وفي خلال هذه الرحلات العلمية التي قام بها الترمذى كان لا يدع فرصة يمكنه أن يحصل فيها على العلم إلا اغتنمها فكان يتلقى عن العلماء ويدون الحديث وينظر كبار الأئمة ويناقشهم وخصوصا الإمام البخارى الذى كان له أكبر الأثر في حياة الترمذى العلمية ولاسيما في فقه الحديث فقد لازمه مدة طويلة وأخذ منه وتخرج عليه. قال ابن خلكان: (وهو تلميذ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلى بن حجر وابنه بشار وغيرهم أ.هـ<sup>(٢)</sup>)

وهكذا كان البخارى الشيخ والموجه للترمذى فحصل على يديه من الحديث والفقه ومذاهب العلماء الكثير وكتابه الجامع أكبر شاهد على تمكنه من الحديث والفقه في كل باب وعلى سعة باعه في هذا المجال.

### شيوخه وتلاميذه:

أخذ الترمذى عن كثير من الشيوخ وكان لشيخه البخارى اليد الطولى في التأثير، وقد تفوق وبرزت ملكاته العلمية ومواهبه الفطرية وهو مازال في تلقى العلم والأخذ عن الشيوخ. ومما يدل على مكانته العلمية أن الإمام البخارى أخذ عنه بعض الأحاديث وللترمذى شيوخ كثيرون منهم البخارى ومسلم وأبو داود وقد شاركهم في بعض شيوخهم وقتيبة بن إسحق

(١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٦١٢.

ابن موسى ومحمد بن غيلان وسعيد بن عبد الرحمن ومحمد بن بشار وعلى بن حجر وأحمد ابن منيع ومحمد بن المثنى وسليمان بن وكيع وغيرهم.  
وممن روى عنهم أبو حامد أحمد بن عبدالله بن داود المروزي ومكحول بن الفضل ومحمد ابن محمود بن عنبر وحمام بن ساكر وعبد بن محمد أنسفيون والهيثم بن كليب الشاش راوية الشمائل وأحمد بن علي بن حسناويه ومحمد بن المنذر بن سعيد الهروي وأحمد بن يوسف النسفي وأبو العباس محمد بن محبوب المحبوبي راوية كتابه الجامع وغيره.

### مؤلفاته:

ومن مؤلفاته:

- ١- كتاب الجامع.
- ٢- كتاب العلل في آخر جامعه.
- ٣- كتاب التاريخ.
- ٤- كتاب الشمائل النبوية.
- ٥- كتاب الزهد.
- ٦- كتاب الأسماء والكنى.

وقد ادعى ابن حزم أن الترمذى مجهول ولم يعرفه ولكن هذا قول متسرع ورأى لا أساس له من الصحة وقد سجل ابن حزم بهذا على نفسه عدم الاطلاع ولا يعتذر له بأنه لم يدر بوجود الجامع والعلل التي للترمذى لأنها لم تدخل الأندلس حين ذلك، فإن عدم علمه بالجامع والعلل لا يعنى عدم معرفته بالترمذى. وقد ذكره صاحب كتاب المؤلف والمختلف ونبه على قدره فكيف فات ابن حزم الوقوف عليه ولكن الأمر كما قال ابن حجر «إن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ كأبى قاسم البغوى وإسماعيل بن محمد الصفار وأبى العباس الأصم وقال ابن كثير: وجهالة ابن حزم لأبى عيسى لا تضره حيث قال فى المحلى: (ومن محمد بن عيسى بن سورة) فإن جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم، بل وضعت منزله ابن حزم عند الحفاظ.

وكيف يصح فى الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

والآن لنضع أيدينا على أهم ثمرات قلبه وفكره وهو كتابه النفيس (الجامع).

## جامع الترمذی

### التعريف بالكتاب:

هو أحد الكتب الستة وأشهر المصنفات للإمام الترمذی الذي أصبح به إماما في الحديث وقد رتبته على أبواب الفقه وغيرها، ودون فيه الأحاديث الصحيحة وغيرها مبينا درجة كل حديث في موضوعه كما بين مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، واختصر طرق الحديث، وألحق به كتابا للعلل سجل فيه كثيرا من الفوائد الهامة ولما ألفه عرضه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فوضع موضع القبول، روى عنه أنه قال: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم<sup>(١)</sup> «أه» وقد جاء هذا الكتاب حافلا بالأحاديث النبوية المشتملة على الأحكام والمواعظ والآداب والتفسير والمناقب وغير ذلك.

وقد عنى الترمذی بالتراجم فأورد تراجم عامة تشتمل على أحاديث تتضمن مسائل متعددة وأبوابا كثيرة، لذا نراه يعنون بمثل هذه الترجمة العامة يقول: (أبواب) مثل أبواب الصلاة على رسول الله ﷺ، كما أورد تراجم خاصة وهي التراجم الجزئية التي يضعها لمسألة معينة ويعنون لها بقوله (باب) مثل: باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور وبعد أن يذكر الترمذی الأحاديث في الترجمة يتبع ذلك بذكر آراء الفقهاء في المسألة وبيان درجة الحديث، ويتكلم على الرجال والأسانيد وما يتعلق بكل ذلك، كما يذكر ما للحديث من طرق، وإن كانت هناك أحاديث أخرى تناسب الترجمة أشار إليها ولا يكتفى بذلك فحسب وإنما يوازن بين ما يورده في الترجمة من الأحاديث ويوضح رأيه في أقوال العلماء. وقد أطلق الحاكم على كتاب الترمذی (الجامع الصحيح) وأطلق الخطيب عليه وعلى كتاب النسائي اسم (الصحيح)، بل إن الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن السلفي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ كان يطلق على كتب السنن اسم الصحيح ولا شك إن في هذه التسمية تجاوزا وتساهلا لأن في السنن الصحيح والحسن والضعيف، قال السيوطي ومن أطلق عليها أى على السنن الصحيح كقول السلفي في الكتب الخمسة اتفق على صحتها علماء المشرق

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٥٥٩.

والمغرب وكإطلاق الحاكم على الترمذى الجامع الصحيح وإطلاق الخطيب عليه وعلى النسائى اسم الصحيح فقد تساهل<sup>(١)</sup> «أ.ه». ويسمى كتاب الترمذى أيضا (بالجامع الكبير) وهذه التسمية قليلة الاستعمال ويسمى (بالسنن) نظرا لاشتغاله على أحاديث الأحكام مرتبة ترتيبا فقهيا ولكن الكتاب لم يتضمن أحاديث الأحكام فقط وإنما يشتمل عليها وعلى غيرها ففي هذه التسمية أيضا تساهل وتجاوز. وسمى الكتاب (بالجامع) واشتهر (بجامع الترمذى)<sup>(٢)</sup> وهذا هو الأكثر نظرا لاستيعابه كثيرا من أبواب السنة وفنون الحديث ونظرا لعمل تقييده بقيد الصحة، لذا كان هذا الاسم أولى بالإطلاق على هذا الكتاب وقد وضح الإمام الترمذى موضوع كتابه والباعث له على تأليفه على هذا الوضع فقال: وإنما حملنا على ما بينا فى هذا الكتاب من قول الفقهاء وعلل الحديث لأننا سئلنا عن هذا فلم نفعله زمانا ثم فعلناه لما رجونا فيه من منفعة الناس لأننا قد وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه، منهم: هاشم بن حسان وعبدالله بن عبد العزيز بن جريج وسعيد بن أبى عروبة ومالك بن أنس وحماد بن سلمة وعبدالله بن مبارك ويحيى بن زكريا ابن أبى زائدة ووكيعة بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من أهل العلم والفضل صنفوا فجعل الله فى ذلك منفعة كثيرة فنرجو لهم بذلك الثواب الجزيل عند الله لما نفع الله المسلمين فيهم القدوة فيما صنفوا «أ.ه» وقول الترمذى هذا يدل على أمرين: الأمر الأول: موضوع كتابه وهو تدوين الأحاديث النبوية واستنباط الأحكام منها وتوضيح آراء الفقهاء وأقوالهم وبيان علل الحديث. والأمر الثانى: وهو الباعث له على تأليف كتابه على هذا الوضع وهو رغبته فى انتفاع المسلمين وحيث إنه سئل عن هذا فلم يفعل ثم حفز همته وقوى عزمه لهذا الصنيع ما رغب فيه من نفع الناس وما رآه من سابقيه من الأئمة الذين صنفوا ما لم يسبقوا إليه وفيهم القدوة له.

ومعلوم أن الإمام البخارى والإمام مسلما قد تقدما الإمام الترمذى وسبقاه فى تدوين الحديث فلما جاء بعدهما وضع كتابه وجمع فيه فوائد الصحيحين وأضاف من مجهوده الشخصى ما جعله يتميز عن غيره. وقد أبرز شخصيته العلمية بصورة واضحة فيما قدمه من الصناعة الحديثية وقد نحا منحى الإمام مسلم فى كتابته مقدمة لصحيحه بين فيها منهجه

(١) تدريب الراوى ص ٩٥.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١١ كشف الظنون ج ١ ص ٥٥٩.

في الكتاب وتوضيح بعض المسائل الهامة المناسبة له فوضع كتاب (العلل) إلا أنه أتى به آخر الكتاب. ويعتبر كتاب العلل ضمن كتاب الجامع كجزء منه وبيان لمنهجه فيه وقد أورد فيه بعض مسائل طرقها مسلم وأخرى تفرد بها هو ولهذه البحوث أهمية كبيرة في علم الحديث وقد بين فيها أحوال أحاديث الكتاب إجمالاً وعلوم الرجال والتحمل والأداء ونبه على اختلاف العلماء في جرح بعض الرجال وتعديلهم وتفسير كثير من الاصطلاحات وقد عنى كثير من العلماء بكتاب الترمذي فتناولوه بالشرح والاختصار ومن هذه الشروح:

١- شرح الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالله الإشبيلي المعروف بابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ وسماه عارضة الأهودى في شرح سنن الترمذي تكلم فيه على الرجال والأسانيد وفنون النحو والعقائد والأحكام وتوجيه الأقوال ولاسيما مذهب إمامه مالك وهو مطبوع بمصر والهند.

٢- شرح الحافظ أبي الفاتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الشافعي المتوفى سنة ٧٣٤ هـ بلغ فيه نحو ثلثي الجامع ثم كمله زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ.

٣- شرح سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ هـ وسماه (العرف الشدى على جامع الترمذي) شرح منه البعض ولم يكمله.

٤- شرح زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن النقيب الحنبلي وقد أحرقت شرحه في الفتنة.

٥- شرح الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ وسماه (قوت المغتذى على جامع الترمذي) وضع في أوله مقدمة لبيان منزلة الجامع واصطلاحاته وهو مطبوع بالهند.

٦- شرح الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ.

٧- شرح الشيخ أبي الحسن عبد الهادي السندی المتوفى سنة ١١٣٨ هـ وهو مختصر.

٨- تحفة الأهودى بشرح جامع الترمذي لعبد الرحمن المباركفوري، كما اختصر جامع

سليمان بن عبد القوى الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٠ هـ.<sup>(١)</sup>

وممن روى عن الإمام الترمذي كتابه الجامع ستة من العلماء:

١- أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب وروايته هي الرواية المعروفة الشهيرة.

٢- أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاش، وبروايته روى أبو بكر محمد بن خير بعض

---

(١) كشف الظنون ج١ ص ٢٢٨، ٢ - الحديث والمحدثون د. محمد أبو زهو ص ٤١٧، أعلام المحدثين د. محمد

أبو شهبة ص ٢٥١.

أحاديث من الجامع وكتاب العلل وذكر إسناده بذلك إلى الترمذى من طريقه.

٣- أبو ذر محمد بن إبراهيم.

٤- أبو محمد الحسن بن إبراهيم القطان.

٥- أبو حامد أحمد بن عبدالله التاجر.

٦- أبو الحسن الوازرى. ولم تتصل هذه الروايات كلها إلى عصرنا هذا، بل اتصلت

منها برواية المحبوبي للكتاب<sup>(١)</sup>.

### منهج الترمذى فى جامعہ

دون الإمام الترمذى فى جامعہ الحديث الصحيح والحسن والضعيف والعلل ووضح علته ولم يلتزم تخريج الصحيح وحده وإنما التزم أن يخرج الأحاديث التى عمل بها الفقهاء، وقد روى عنه قال: جميع ما فى هذا الكتاب هو معمول به وبه أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين أحدهما حديث (أنه ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر) وثانيهما حديث (فإن عاد - أى شارب الخمر - فى الرابعة فاقتلوه) وقد نهج أبو عيسى الترمذى فى تدوين أحاديث كتابه منهج المحدثين فى الرواية من الإسناد فوفاه حقه وذكر طرق الحديث وبين اختلاف الرواة واتفاقهم، بل وزاد الترمذى من سبقه الإشارة إلى أسانيد الحديث وتلخص منهج الترمذى فى أربع طرق:

١- طريقة جمع أسانيد الحديث فى سياق واحد وذلك بأن يذكر الطرق التى روى بها الحديث كلها فى سياق واحد وهذه الطريقة يستعملها عندما تستوى مراتب رواة الحديث وتتفق رواياتهم لفظاً ومعنى. وحينما ينتقل من إسناد إلى آخر يذكر الحرف (ح) على نحو ما كان يصنع الإمام مسلم وإذا كان بين الرواة اختلاف ولو يسيراً فى اللفظ فإنه يحذف ألفاظه ويوضح اختلافاتهم كأن يقول (حدثنا فلان وفلان المعنى واحد) ويقصد بهذه الجملة أنه ذكر لفظ أحد الرواة ولكنه لم يعين صاحبه وتارة يعين صاحب اللفظ فيقول (حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان) وتارة أخرى يذكر لفظ كل من الرواة كما كان ينبه أيضاً على اختلاف ألفاظ الأداء لدى الرواة فيميز بين قول بعضهم حدثنا وقول غيرهم أخبرنا.

٢- طريقة تعداد الأسانيد وذكر المتن بعد أول إسناد وذلك بأن الترمذى يسوق الحديث بسنده ومتمنه ثم يذكر بعد ذلك الأسانيد الأخرى ولا يعيد ذكر المتن اختصاراً وإنما يكتفى بالإشارة

(١) مقدمة تحفة الأحوذى ص ١٧٨ الإمام الترمذى للدكتور نور الدين عتر.

إليه كأن يقول مثله أو نحوه وقد قيل إن هاتين الكلمتين معناهما واحد ولكن الحاكم فرق بينهما فخص (مثله) إذا اتفق الحديثان في اللفظ (ونحوه) إذا كان بمعناه<sup>(١)</sup>.

٣- أن يفرد كل إسناد مع متنه في الرواية وهذه الطريقة يذكر الترمذى فيها الحديث بالأسانيد المتعددة ثم يذكر بعد كل إسناد المتن الذى روى به وفى هذه الطريقة تقوية لدرجة الحديث بتكرار السند وبما يزيد فى أحد المتنين عن الآخر حتى تتضح درجة الحديث بزيادة أو اختلاف بين رواية أو بيان لعلة فيه.

٤- إشارة الترمذى إلى أسانيد الحديث. وفى هذه الطريقة يخرج الترمذى الحديث بسنده ثم يكتفى بالإشارة إلى الأسانيد الأخرى لشهرتها، بأن يعلق هذه الطرق فيذكر موضع الاستشهاد منها من متابعة أو غير ذلك، مثل قوله: حدثنا أحمد بن منيع والحسن ابن الصباح والبخاري وأحمد بن محمد بن موسى - المعنى واحد - قالوا: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: أتى النبي ﷺ رجل فسأله عن مواقيت الصلاة... فذكر الحديث ثم قال (وقد رواه شعبة عن علقمة بن مرثد أيضا) فذكر متابعة شعبة لسفيان الثوري معلقة وهكذا ولم يذكر الإسناد كله. وقد يخرج الحديث بإسناده ويشير إلى وروده من طرق أخرى بقوله (وقد روى من غير وجه نحوه)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الطريقة الرابعة تفرد بها الإمام الترمذى أما الطرق الثلاثة السابقة فقد شاركه فيها الإمام مسلم كما سلك الترمذى فى تدوين الأحاديث الدالة على الباب برواية بعضها بأسانيدها والإشارة إلى بعض أحاديث فى معنى ما خرجه فى الباب فيذكر روايتها عن الصحابة فيقول (وفى الباب عن فلان وفلان).

### شرط الترمذى فى جامعه

سبق بيان رأى الحازمى فى شروط الأئمة وتوضيح كل طبقة من الطبقات التى قسمها وأن الطبقة الرابعة قوم شاركوا الثالثة فى الجرح والتعديل وتفردوا بقله ممارستهم لحديث الزهري لأنهم لم يلازموه كثيرا وهم شرط الترمذى<sup>(٣)</sup> ومن المعروف أن أهل هذه الطبقة

(١) تدريب الراوى ص ٢٢٨.

(٢) الترمذى والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين د. نور الدين عتر ص ٨٧.

(٣) تدريب الراوى ص ٦٨ - شروط الأئمة الخمسة.

لم يسلموا من غائلة الجرح لهذا جاءت أحاديث جامع الترمذى منها الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل الذى يوضح علته فالترمذى إذا خرج أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة والرابعة ولكنه لم ينزل إلى ما دون ذلك فلم يدون فى كتابه الواهى ولا الموضوع لأنه التزم فى كتابه ألا يخرج إلا الأحاديث التى عمل بها الفقهاء أو احتج بها المحتجون والأئمة لم يحتجوا بالواهى ولا بالموضوع ولئن كان فى هذا الشرط متسع لتخريج الصحيح وغيره إلا أنه تكلم على كل حديث بما يقتضيه، قال أبو عيسى فى علل الجامع : جميع ما فى الكتاب من الحديث فهو معمول به وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين «أ.ه». وفى قول الترمذى السابق لا يفهم أنه لا يخرج كل حديث احتج به محتج صحيحا كان أو غير صحيح، إنما يفهم هذا لو أنه قال بأنه يحتج بكل حديث احتج به الفقهاء، وبين التعبيرين فرق لأنه من الجائز أن يقوم الترمذى فينقى مما يحتج به الفقهاء بعض الأحاديث التى توافرت فيها الشروط الخاصة عنده. ويقول الحافظ بن رجب فى شرح علل الترمذى (اعلم أن الترمذى خرج فى كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف والحديث الغريب والغرائب التى خرجها فيها بعض المناكير ولاسيما فى كتاب الفضائل، ولكنه يبين ذلك غالبا ولا يسكت ولا أعلم أنه خرج عن متهم بالكذب متفق على اتهامه حديثا بإسناد منفرد إلا أنه يخرج حديثا مرويا من طرق أو مختلفا فى إسناده وفى بعض طرقه متهم وعلى هذا الوجه خرج حديث محمد بن سعيد المصلوب، ومحمد بن السائب الكلبي، نعم قد يخرج عن هو سىء الحفظ وعمره غلب على حديثه الوهم ويبين ذلك غالبا ولا يسكت عنه وقد شاركه أبو داود فى التخريج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كإسحق بن أبى فروة وغيره)<sup>(١)</sup>.



(١) شروط الأئمة الخمسة ص ٥٤.

## درجة أحاديثه

جعل ولي الله الدهلوى جامع الترمذى فى درجة سنن أبى داود ومجتبى النسائى ، وعده معها فى الطبقة الثانية وهى كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها<sup>(١)</sup> ثم ذكر فى موضع آخر أن الترمذى استحسّن طريقة الشيخين وطريقة أبى داود فنسج فى كتابه على منوال هؤلاء. وزاد بيان مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار فجمع كتابا جامعا واختصر طريق الحديث اختصارا لطيفا فذكر واحدا وأوماً إلى ما عداه. وبين أمر كل حديث من أنه صحيح أو حسن أو ضعيف أو منكر وبين وجه الضعف ليكون الطالب على بصيرة من أمره فيعرف ما يصلح للاعتبار عما دونه وذكر أنه مستفيض أو غريب وذكر مذاهب الصحابة وفقهاء الأمصار وسمى من يحتاج إلى تسمية وكنى من يحتاج إلى الكنية ولم يدع خفاء لمن هو من رجال العلم<sup>(٢)</sup> فرأى الدهلوى يتلخص فى وضع كتب السنن الثلاثة للترمذى وأبى داود والنسائى فى رتبة واحدة بعد الصحيحين والموطأ.

وهناك رأى آخر يرى فيه بعض العلماء أن كتاب جامع الترمذى على أربعة أقسام:

١- قسم مقطوع بصحته وهو ما وافق فيه البخارى ومسلم.

٢- قسم على شرط أبى داود والنسائى.

٣- قسم أبان علته.

٤- قسم أبان عنه فقال: ما أخرجت فى كتابى هذا إلا حديثا عمل به بعض الفقهاء سوى حديث (فإن شرب فاقتلوه فى الرابعة)<sup>(٣)</sup> وحديث ( جمع بين الظهر والعصر بالمدينة من غير خوف ولا سف)<sup>(٤)</sup>.

ففى هذا القسم الرابع أخرج ما أخذ به بعض الفقهاء وليس فى الموضوع غيره<sup>(٥)</sup>. والرأى الثانى هو الذى أميل إليه وأرجحه وذلك لأن فيه تحديدا لدرجة أحاديث

(١) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٢١.

(٣) أخرجه الجماعة من حديث أبى هريرة وغيره.

(٤) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس بألفاظ مختلفة.

(٥) تذكرة الحفاظ ص ٦٣٤ ، شروط الأئمة الستة للمقدسى ص ١٣ ، قواعد التحديث ص ٢٤٦.

جامع الترمذى ببيان كل قسم على حدة، فولى الله الدهلوى وإن أشار إلى هذه الأقسام (بقوله عن الترمذى أنه بين أمر كل حديث من أنه صحيح أو حسن أو ضعيف أو منكر) فإنه وضعه فى درجة واحدة مع كتابى أبى داود والنسائى وهى الطبقة الثانية، وأما الرأى الثانى ففيه بيان درجة كل نوع من هذه الأنواع، فليس كتاب الترمذى كله على شرط أبى داود والنسائى وليست أحاديثه كلها فى درجتها بل فيه أمثال: القسم الأول وهو المقطوع بصحته وعلى أية حال، فإن شرط الترمذى وهو تدوين كل حديث عمل به الفقهاء شرط واسع وهو الذى حمله أن يخرج هذه الأنواع الكثيرة من الأحاديث ولكنه أبرز مجهوده العلمى العظيم بتمييزه الدقيق لكل حديث فبين نوعه ودرجته من الصحة وكشف عما يقدر على بعض الأحاديث وتكلم عن الأسانيد والرواة وهذه المهمة العالية خصيصة للترمذى.

وللترمذى حديث ثلاثى واحد علا الترمذى فيه حتى صار بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة رواة قال الترمذى فيه: حدثنا إسماعيل بن موسى قال: حدثنا عمر ابن شاعر عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ (يأتى على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالفابض على الجمرة) وكتاب الترمذى أصل فى معرفة الحسن وهو الذى نوه باسمه وأكثر من ذكره فى جامعه<sup>(١)</sup>.

وكان أكثر المتقدمين يقسم الحديث إلى قسمين: صحيح، وضعيف وأما الحسن فمنهم<sup>(٢)</sup> من يدرجه فى الصحيح لاشتراكهما فى الاحتجاج مع بيان أنه دونه فى الاحتجاج به. وذكر ابن تيمية أنهم كانوا يدرجونه فى الضعيف، قال فى مناهج السنة: كان الحديث فى اصطلاح من قبل الترمذى إما الصحيح وإما ضعيف والضعيف إما متروك وإما ضعيف ليس بمتروك وبين أن الضعيف غير المتروك وهو الحسن ورأى أن الحديث الحسن عرف قبل الترمذى إلا انه لم يكن مشهورا بين العلماء، ووجد فى كلام بعض شيوخ الترمذى والطبقة التى قبله كالإمام على بن المدينى والإمام البخارى<sup>(٣)</sup> قال الكشميرى: إن البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما - أى الصحيح والحسن - حتى جاء الترمذى، وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره<sup>(٤)</sup>. وإذا كان البخارى لم يرد منه ذكر للحديث الحسن فى كتابه فذلك راجع إلى أنه التزم أن يخرج الحديث الصحيح لذاته فى أصل موضوع

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٨.

(٢) قواعد التحديث للقاسمى ص ١٠٦.

(٣) تدريب الراوى ص ٩٦ قواعد التحديث ص ١٠٣.

(٤) فيض البارى ج ١ ص ٥٧.

الكتاب، لا أنه لم يفرق بينهما. فالترمذى إذاً هو الذى شهر هذا القسم وهو (الحسن) وأكثر منه، وأظهر هذا التقسيم الثلاثى للحديث (صحيح وحسن وضعيف) ولم يؤلف قبل الترمذى كتاب قسمت أحاديثه هذه القسمة، حتى إن بعض العلماء نسب هذا التقسيم إلى الترمذى كابن تيمية.

### بعض اصطلاحات الترمذى:

دارت فى كتاب جامع الترمذى بعض اصطلاحات لأنواع الحديث يمزج بينها ويجمع بين اثنين منها أو أكثر فى الحكم على الحديث فيقول مثلاً: (صحيح غريب) ، (حسن صحيح) ، (حسن غريب).

أما قوله: «حديث صحيح غريب» فهذا يدل على أنه ليس فيه إشكال، بل هو سهل، وذلك لأن الحديث الغريب ينقسم إلى صحيح وغيره<sup>(١)</sup>. والحديث الصحيح لا يشترط فيه تعدد لإسناده فالصحة والغرابة قد يجتمعان وهذا ما يقصده الترمذى بهذا الاصطلاح. وأما قوله: «حديث حسن غريب» لا نعرفه إلا من هذا الوجه فقد استشكله البعض لأن الترمذى فسر الحسن بتعدد الإسناد، والغرابة فيها تفرد الإسناد فبينهما تناقض، والجواب ما قاله بعض العلماء. وهو أن الترمذى استعمل الحسن لذاته فى المواضع التى يقول فيها (حسن غريب) ونحو ذلك فاشترط التعدد حين يطلق «الحسن» دون تقييد بوصف أما حين يقيّد بالغرابة فيعلم أن التعدد غير ملاحظ فيه.

وأما يقول فيه: «حسن» فقط فقد اقتصر على تعريفه لغموضه، أو لأنه اصطلاح جديد، ولذا قيده بقوله: (عندنا) ولم ينسبه إلى أهل الحديث، قال: وما قلنا فى كتابنا: حديث حسن فأنا أردنا حسن إسناده عندنا، إذ كل حديث يروى لا يكون راويه متهما بكذب ويروى من غير وجه نحو ذلك، ولا يكون شاذاً، فهو عندنا: (حديث حسن)<sup>(٢)</sup> «أ.هـ»

وأما قوله: (حسن صحيح) فهذا مما استشكل، لأن الحسن قاصر عن الصحيح فكيف يجتمع إثبات القصور ونفيه حديث؟ - كما يرى ابن الصلاح - أنه روى بإسنادين: أحدهما يقتض الصحة والآخر يقتضى الحسن فصح أن يقال فيه ذلك أى حسن باعتبار إسناده صحيح باعتبار آخر ولكن هذه الإجابة لا تطرد فى جميع الأحايث إذ إن بعض الأحاديث يقول فيها بعد ذلك لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١) تدريب الراوى ص ٣٧٦.

(٢) قواعد التحديث للقاسمى.

وهناك جواب ثان وهو أن المراد بالحسن اللغوي دون الاصطلاحى فهو حسن باعتبار المتن صحيح باعتبار الإسناد، ولكن يعترض على هذا الجواب، بما قاله الترمذى: وما قلنا فى كتابنا حديث حسن فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا. فهذا القول ينفى أن المراد بالحسن الحسن اللغوي، كما يرد هذا الجواب أيضا: ما يلزم عليه من جواز إطلاقه على الحديث الموضوع إذ كان حسن اللفظ، وهذا مردود من الجميع لم يقل به أحد. والجواب الثالث: ما قاله ابن دقيق العيد وهو أن الحسن لا يشترط فيه القصور عن الصحة إلا حيث انفرد الحسن أما إذا ارتفع إلى درجة الصحة فالحسن حاصل لا محالة تبعاً للصحة لأن وجود الدرجة العليا وهى: الحفظ والإتقان لا ينافى وجود الدرجة الدنيا كالصدق، فيصح أن يقال حسن باعتبار الصفة الدنيا صحيح باعتبار العليا، ويلزم على هذا أن كل صحيح حسن<sup>(١)</sup>.

وقد أورد ابن سيد الناس اعتراضاً على هذا الجواب فى قوله: (قد بقى عليه أنه اشترط فى الحسن أن يروى نحوه من وجه آخر، ولم يشترط ذلك فى الصحيح فانتفى أن يكون كل صحيح حسناً).

وقد أجاب «العراقى» على اعتراض ابن سيد الناس بأن الترمذى إنما يشترط فى الحسن مجيئه من وجه آخر إذا لم يبلغ رتبة الصحيح فإن بلغها لم يشترط ذلك بدليل قوله فى مواضع هذا حديث حسن غريب، فلما ارتفع إلى درجة الصحة أثبت له الغرابة باعتبار فرديته<sup>(٢)</sup> أ.هـ

وأرى أن الاعتراض على جواب ابن دقيق العيد مازال قائماً؛ لأن الصحيح والحسن مختلفان، والمبلغ لكلام الترمذى وعباراته يرى أنه فرق بينهما فأحياناً يجمع الوصفين فى عبارة واحدة (حسن صحيح) وأحياناً أخرى يفرد كل واحدة على حدة فعلم من ذلك أنهما مختلفان وليس الحسن عاماً.

والجواب الرابع: أن الجمع بين الصحة والحسن درجة متوسطة بين الصحيح والحسن، قال ابن كثير (فلما نقول فيه حسن صحيح أعلى رتبة من الحسن ودون الصحيح) وقد رد على هذا بأنه تحكم لا دليل عليه وهو بعيد.

الجواب الخامس: أن الحديث إن كان له سندان فمعنى ذلك أنه روى بسند صحيح وآخر حسن، والمعنى (حسن وصحيح) فيكون أقوى مما قيل فيه صحيح فقط لأنه ليس

(١) تدريب الراوى ص ٩٤.

(٢) فتح المغيب لشرح ألفية الحديث للعراقى ج ١ ص ٥٣.

له إلا سند واحد وإن كان له سند واحد فمعنى هذا أن العلماء اختلف رأيهم فى الرواية أو ترددوا فى الحكم بين الصحة والحسن. ويكون المعنى حسن أو صحيح وعلى ذلك فما قيل فيه حسن صحيح دون ما قيل فيه صحيح لأن الجزم أقوى من التردد<sup>(١)</sup> وهذا ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر.

وهذا الرأى هو ما أرجحه، لأنه يتماشى مع تفسير الترمذى للحسن بتعدد الإسناد فكلمة (صحيح) بعد كلمة (حسن) أفادت ارتفاع الحديث إلى الصحة، وأما إذا لم يكن له إلا سند واحد ففيه احتياط فى الحكم عليه أهو حسن أم صحيح. ولهذا كانت رتبته دون رتبة المتعدد الإسناد.

هذا وقد انتقد بعض الحفاظ على الترمذى بعض أحاديث موجودة فى جامعه، وحكموا عليها بالوضع كابن الجوزى، وابن تيمية، والذهبى، فابن الجوزى انتقد على الترمذى بعض الأحاديث ونازعه فيها السيوطى فى كتابه (التعقبات على الموضوعات) والحق أن أغلبها فى الفضائل ومعظمها لا يسلم الحكم عليه بالوضع وعلى أية حال فإنها قليلة لا تنقص من درجة هذا الكتاب العظيم.

### نقد حديث الكمأة من المن.. والرد على ذلك

وقد ورد نقد من الكتاب المحدثين يطعن فى هذا الحديث الذى رواه الإمام (الترمذى) فى جامعه، يقول أحمد أمين عن رجال الحديث: «لم يتوسعوا كثيرا فى النقد الداخلى فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أم لا؟ مثال ذلك ما رواه الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهى شفاء من السم)، فهل اتجهوا فى نقد الحديث إلى امتحان الكمأة وهل فيها مادة تشفى العين؟ أو العجوة وهل فيها ترياق؟.. نعم انهم روى أن أبى هريرة قال: (أخذت ثلاث أكْمُو أو خمساً أو سبعا فعصرتهن فى قارورة وكحلت به جارية لى عمشاء فبرأت) ولكن هذا لا يكفى لصحة الحكم فتجربة جزئية نفع فيها شىء مرة لا تكفى لإثبات الشىء فى ثبت الأدوية إنما الطريقة أن تجرب مرارا<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

(١) تدريب الراوى ص ٩٤.

(٢) ضحى الإسلام: أحمد أمين ج ٢ ص ١٣٠، ١٣١.

## الإجابة على ذلك:

إن هذا الحديث رواه الترمذى عن أبي هريرة، ورواه أحمد فى مسنده عن سعيد بن يزيد، وهو حديث ثابت فى الصحيحين، وليس فى سنده جرح ولا ضعف وإنما سنده صحيح قوى، هذا من ناحية «السند»، أما ما يتعلق (بالمتمن) فإن أبا هريرة قام بتجربة هذه الخاصية التى فى الكمأة فوجدها سليمة، كما جربها غيره من بعده والإمام النووى روى أن بعض علماء زمانه قد أصيب بذهاب بصره فلما اكتحل بماء الكمأة شفى بإذن الله، كما اعترف بصحة الحديث كثير من أطباء المسلمين الذين قاموا ببحته وتجربته، وأثبتت بحوثهم أثر الكمأة فى تقوية الجفن وزيادة البصر، ومع ذلك كله فقد تصدى للطعن فى هذا الحديث بعض أهل الزيغ وطلبوا التجربة مرارا وقد جربت مرارا، ومع هذا لم يقتنعوا أو لم يصدقوا وذلك لأنهم طلبوا أمور الدين بالمشاهدة وأرادوا أن يأخذوها بالطريقة المادية طريقة الحس والمشاهدة الخاضعة للخطأ والصواب، ومع أنها قد أصابت بالنسبة للحديث، وأثبتت صحته إلا أنهم فى ضلالهم يعمهون ولو أنهم طلبوا صحة الحديث من يقين القلب، والتصديق بصاحب السنة أولا فلا شك أنهم كانوا يحسون بالإيمان قد وقر فى القلب، وبالتصديق بصحيح سنته التى جاء بها وحيا يوحى.

وقد جاء فى سبب ورود هذا الحديث: أن جابر بن عبد الله رضى الله قال: كثرت الكمأة على عهد رسول الله فقال بعض الصحابة: «إن الكمأة من جدرى الأرض» فامتنعوا من أكلها فبلغ ذلك النبى ﷺ فخرج فصعد المنبر فقال: «ألا ما بال أقوام يزعمون أن الكمأة من جدرى الأرض ألا أنها ليست من جدرى الأرض، ألا أن الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ألا وإن العجوة من الجنة وهو شفاء من السم»<sup>(١)</sup>.

«والكمأة» نبات لا ورق لها ولا ساق، توجد فى الأرض من غير أن تزرع، قيل سميت بذلك لاستتارها، يقال كمأ الشهادة إذا كتمها، ومادة الكمأة من جوهر أرضى بخارى يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع<sup>(٢)</sup>..

(١) أسباب ورود الحديث ج ١ ص ٣١٢ لابن حمزة الحسينى وأخرج الحديث الطحاوى فى مشكل الآثار عن جابر ابن عبد الله البخارى ج ١ ص ١٢٦ من فتح البارى باب المن شفاء العين.

(٢) فتح البارى ج ١ ص ١٢٦.

وقد ورد في المراد «المن» ثلاثة آراء:

**الأول:** أنها من المن الذي أنزل على بني إسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل ومنه الترنجيبين، فكأنه شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج.

**الثاني:** أنها من المن الذي من الله به على عباده عفوا بغير علاج، وقال هذا الرأي أبو عبيد وجماعة.

**الثالث:** قال الخطابي. ليس المراد أنها نوع من المن الذي أنزل على بني إسرائيل، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجيبين الذي يسقط على الشجر، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقى فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فيقع على الشجر فيتناولونه، ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعا منها ما يسقط على الشجر ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه. والتوفيق بين الآراء السابقة: أرى أن الكمأة مما امتن الله تعالى به على العباد عفوا دون معالجة وإذا نظرنا إلى الرأي الأول نرى أن المراد تشبيه الكمأة بالمن وإذا نظرنا إلى الرأي الثاني نرى أنها مما امتن الله به على العباد وإذا نظرنا إلى الرأي الثالث وجدنا أن المراد أنها من قبيل (المن) وليس المراد أنها نوع منه، فكأن الآراء الثلاثة تتفق في أن «الكمأة» ليست هي عين «المن».

فمن لاحظ في معنى المن أنه الذي أنزل على بني إسرائيل كالرأي الأول والثالث، أراد: أن الكمأة تشبهه أو تكون من قبيله فيتفقان مع الرأي الثاني في أنها غيره والرأي الثاني الذي لاحظ في معنى المن أنه الذي امتن الله به يتفق مع الرأيين في خروج الكمأة عفوا بغير علاج.

وذكر ابن القيم أن فضلاء الأطباء اعترفوا بأن ماء الكمأة يجلو العين كابن سينا وغيره وقال ابن حجر: «واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر بنيته»<sup>(١)</sup>.



(١) المرجع السابق ص ١٢٨.

## الإمام النسائي

### نسبه ونشأته:

هو<sup>(١)</sup> أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن بحر النسائي الحافظ، صاحب السنن الصغرى والكبرى. ولد بنساء - من بلاد خراسان - سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل أربع عشرة ومائتين ونشأ محبا للعلم، فطوف بكثير من الأقطار الإسلامية، ورحل إلى قتيبة وهو ابن خمس عشرة سنة، وقال: أقمت عنده سنة وشهرين، واستطاع بجهوده المخلصة للعلم وبما منحه الله تعالى من مواهب فطرية أن يحتل مكانة سامية في الحفظ والإتقان والدقة العالية، والتحرى الشديد حتى قال فيه أبو علي الحافظ النيسابوري: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم.

وجمع النسائي بين العلم والعمل، فكان يجتهد في العبادة ليلا ونهارا ويكثر من العبادة حتى قيل إنه كان يصوم يوما ويفطر يوما، وكما كان مواظبا على الحج والجهاد شجاعا متمرسا على أساليب الحرب، خرج مع أمير مصر غازيا، فوصفوا من شهامته وشجاعته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين واحترازه من مجالس الأمير الذي معه الشيء الكثير الذي يشهد بمكانته وعظمته.

### حياته العلمية:

كان النسائي محبا للعلم والعلماء شغوبا بالمعرفة والتحصيل، وما إن بلغ الخامسة عشرة حتى رحل إلى العلماء في بلاد كثيرة، فرحل<sup>(٢)</sup> إلى قتيبة بن سعيد البلخي، ومكث عنده سنة وشهرين، وأخذ عنه الحديث وشارك في السماع منه أئمة الحديث البخارى ومسلم وأبى داود ورحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر والجزيرة، وضم ما سمعه من علماء بلده إلى ما سمعه من علماء هذه الأمصار، فجمع ثروة علمية هائلة وبرع في الحديث حتى قيل إنه أحفظ من مسلم بن الحجاج. وقدم مصر، وطاب له المقام بها فأقام طويلا، وظل يمارس

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) الحديث والمحدثون ص ٣٥٨.

نشاطه العلمى بها، وأخذ عنه الناس ثم خرج من مصر قبيل وفاته سنة ٣٠٢هـ، وتوجه إلى دمشق.

### شيوخه وتلاميذه:

ومن شيوخه الذين تلقى عنهم ونهل من مواردهم: قتيبة بن سعيد وإسحق بن إبراهيم ابن راهويه، وحميد بن مسعدة، وعلي بن خشرم، ومحمد بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين، وهناد بن السرى، ومحمد بن بشار، ومحمود بن غيلان، وأبو داود السجستاني والترمذى صاحب الجامع، وهشام بن عمار، ومحمد بن النظر المروزي وأبو كريب، وسويد ابن نصر.

### ومن تلاميذه:

الذين أخذوا عنه الحديث، وتلقوا عنه: أبو بشر الدولابى وأبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة، وأبو جعفر الطحاوى، ومحمد بن هارون بن شعيب وأبو الميمون بن راشد، وإبراهيم بن محمد صالح بن سنان وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى وحمزة الكنانى، وأبو بكر أحمد بن إسحق السنى الحافظ، وهو رواية السنن وغيرهم<sup>(١)</sup>. وكان الإمام النسائى إلى جانب مكانته العلمية فى السنة وعلومها فقيها، ظاهر الاجتهاد، ومما يدل على خبرته وعمقه فى هذا الجانب انتقاؤه للتراجم ومختاراته من الأحاديث حتى قال فيه الدارقطنى: (كان أفقه مشايخ عصره فى مصر. وأعلمهم بالحديث والرجال). وقال الحاكم أبو عبدالله: «أما كلام أبى عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر، ومن نظر فى كتابه (السنن) تحير فى حسن كلامه».

### ومن مؤلفاته:

- ١- السنن الكبرى.
- ٢- السنن الصغرى المسماة «المجتبى».
- ٣- الخصائص.
- ٤- فضائل الصحابة.
- ٥- المناسك.

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٤١.

واتهم النسائي بالتشيع ، وربما كان أساس هذا الاتهام أنه ألف كتاب الخصائص في فضل علي وآل البيت.

وأرى أن النسائي براء من هذه التهمة ، أما الباعث له علي تأليف كتاب الخصائص فهو ما ذكره في إجابته علي بعض السائلين ، فقد قيل له : كيف تركت تصنيف فضائل الشيخين؟ ، فقال : «دخلت إلى دمشق. والمنحرف عن علي رضي الله عنه كثير فنصفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى» ثم صنف بعد ذلك فضائل الصحابة رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن إسحق الأصبهاني : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : إن أبا عبد الرحمن فاروق مصر في آخر عصره ، وخرج إلى دمشق ، فسئل عن معاوية وما روى من فضائله فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل؟ وفي رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة ، ولعلمهم كانوا يرغبون أن يؤلف في فضائل معاوية ، فلما كان جوابه هكذا كان ذلك سببا فيما لاقاه من محنة ، وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : لما امتحن النسائي بدمشق قال : احملوني إلى مكة ، فحمل إليها ، فتوفى بها.

وقد شهد للنسائي كثير من العلماء بالثقة والحفظ وعرفوا له مكانته العلمية قال الدارقطني : «كان أبو بكر بن الحداد الفقيه كثير الحديث ، ولم يحدث عن أحد غير أبي عبد الرحمن النسائي فقط» قال : رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن خلكان : توفي يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة بمكة حرسها الله تعالى .  
وقيل : توفي بالرملة من أرض فلسطين.

والراجح أنه توفي بالرملة - بلدة بفلسطين - ، وصوب الذهبي هذا الرأي ، وجزم به ابن يونس وممن قال بوفاته بفلسطين : أبو جعفر الطحاوي وأبو بكر بن نقطة رحمهم الله<sup>(٣)</sup>. وبعد هذه الجولة الطيبة في حياة هذا الإمام الجليل نرى أنها قد ألفت أضواء مشرقة علي أهم مناحي العظمة في حياته العلمية ، والآن نتناول جانبا من جوانب تراثه الخالد ألا وهو كتابه «المجتبى» .

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ج ٣ ص ١٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٣٨ .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ ، البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٤ .

## «المجتبى» للنسائى

### التعريف بالكتاب:

صنف النسائى رحمه الله فى السنن كتابين: أحدهما السنن الكبرى والثانى السنن الصغرى، وكتاب السنن الكبرى يشتمل على الصحيح والمعلول ثم اختصره فى كتاب السنن الصغرى، وسماه «المجتبى» وهذا هو الاسم المشهور به وقيل: المجتنى، والمعنى قريب، وهو صحيح عند النسائى، وروى محمد بن معاوية الأحمر عن النسائى أنه قال: كتاب السنن كله صحيح وبعضه معلول إلا أنه لم يبين علته والمنتخب المسمى «بالمجتبى» صحيح كله ولعله أراد بكلمة «كله صحيح» صحته من ناحية المتن، ولكن بعض أسانيده معلول، ولأنه لا يلزم من صحة المتن صحة السند. أو لعله أراد أن معظمها أو أكثرها صحيح، ويكون فى كلامه نوع من التساهل فى العبارة وهذا قول على حسب اجتهاده وغالب ظنه وقد جاء فى سبب تصنيفه لكتابه المجتبى أنه لما صنف السنن الكبرى أهداها إلى أمير الرملة، فقال له: أكل ما فيها صحيح؟، فقال: لا. قال: فجرد الصحيح منه، فصنف له المجتبى، وترك كل حديث أورده فى الكبير مما تكلم فى إسناده بالتعليل.

وإذا أطلق أهل الحديث على النسائى أنه روى حديثاً فإنما يريدون روايته فى السنن الصغرى المسماة بالمجتبى<sup>(١)</sup> إلا ما كان من صنيع بعض المؤلفين فى الحديث كما نبه على ذلك صاحب عون المعبود فى شرح سنن أبى داود حيث قال فى آخر كتابه: واعلم أن قول المنذرى فى مختصره وقول المزى فى الأطراف: (الحديث أخرجه النسائى، فالمراد به السنن الكبرى للنسائى، وليس المراد به السنن الصغرى الذى هو مروج الآن فى أقطار الأرض) ثم قال: فالحديث الذى قال فيه المنذرى والمزى: أخرجه النسائى وما وجدته فى السنن الصغرى فاعلم أنه فى الكبرى، ولا تتحير لعدم وجدانه، فإن كل حديث فى الصغرى موجود فى الكبرى ولا عكس. ويقول المزى فى كثير من المواضع: أخرجه النسائى فى التفسير، وليس فى السنن الصغرى تفسير والسنن الكبرى من رواية ابن حيويه، وابن الأحمر وابن القاسم والسنن الصغرى مشهورة من رواية ابن السنى، وهو راوية السنن المتوفى سنة ٣٦٤ هـ.

(١) تدريب الراوى ص ٤٩ كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٠٦ الحديث والمحدثون ص ٤١٠.

## وأهم شروح كتاب السنن هي:

- ١- شرح الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وهو شرح موجز سماه (زهر الربا على المجتبي) وعنى فيه بضبط أسماء الرواة وشرح الألفاظ وذكر كثير من الأحكام والآداب، وكان كثيرا ما ينقل عن سبقه من العلماء كابن حجر.
- ٢- شرح العلامة أبي الحسن محمد بن عبد الهادي الحنفي المشهور بالسندی نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ١١٣٨هـ، اهتم فيه بضبط اللغة وشرح الغريب والإعراب وهذا أوفى من شرح السيوطي، وقد طبع هذا الشرح في الهند ومصر.
- ٣- شرح الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤هـ وهو شرح على زوائده على الصحيحين، وأبي داود والترمذي ويقع في مجلد.

## منهج النسائي في كتابه

نهج الإمام النسائي في كتابه السنن نهجا دقيقا، فرتبه على الأبواب الفقهية والتزم الدقة والتحرى في نقد الرجال، والتشدد في قبول المرويات حتى قيل إنه كان أحفظ من مسلم بن الحجاج، بل قال حافظ خراسان أبو علي النيسابوري: حدثنا الإمام في الحديث بلا مدافعة أبو عبد الرحمن النسائي وكان يقول: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج وقال ابن طاهر: سألت سعد بن علي الترنجاني عن رجل فوثقه، فقلت: قد ضعفه النسائي، فقال: يا بني إن لأبي عبد الرحمن شرطا في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم. وأرى أن في هذا الكلام مبالغة ومغالاة حيث إن لكل من صحيح البخاري وصحيح مسلم شروطا أعلى من شروط غيرهما وبالتحقيق لا يسلم مثل هذا القول، ولكنه على ما فيه من المبالغة يدل على شدة تحرى النسائي ودقته وعمله بعلم الحديث، وقد كان هذا المنهج الذي التزم فيه التحرى الشديد، والدقة البالغة داعيا له أن يترك أحاديث ابن لهيعة. قال أحمد بن نصر الحافظ: «من يصبر على ما يصبر عليه النسائي؟ كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة فما حدث عنه بشيء» وقال ابن حجر: وكان عنده عاليا عن قتيبة عنه - يعني ابن لهيعة - ولم يحدث به لا في السنن ولا في غيرها ولم يحدث النسائي بحديث ابن لهيعة وكان من كبار الحفاظ إلا أنه اختلط في آخر عمره.

كما كان أيضا شديد التحرى في الألفاظ فلا يستسهل في وضع كلمة مكان أخرى فلا يضع «حدثنا» مكان «أخبرنا» ولا العكس، وفي طريقة روايته عن الحارث بن مسكين ما

يدل على شدة حيظته وورعه فقد كان بينه وبين الحارث ذا الشيء لم يمكنه من حضور مجلسه ، وكان الحارث يتولى القضاء بمصر ، فكان يستتر في موضوع ويسمع حيث لا يراه ولم يقل في روايته عنه «حدثنا» و «أخبرنا» وإنما قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع<sup>(١)</sup> وقد جمع النسائي في سننه كل ما يتعلق بالحياة الدينية من أحاديث على وجه التفصيل والاستقصاء حتى لقد ذكر جميع الأدعية التي تقال في الركعات والسجرات وما بين ذلك ، كما روى أحاديث كثيرة لما يقال في الاستعاذات ونحوها وأورد في أبواب التشريع صيغا ونصوصا مما يجرى في جميع أنواع المعاملات وما شاكل ذلك<sup>(٢)</sup>.

### شروط الإمام النسائي في كتابه

تشدد الإمام النسائي في نقد الرجال ، وعرف بشدة التحرى والدقة حتى قيل كما سبق: إن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم والبخارى .  
وذكر ابن الصلاح في مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد بن سعد الباردي يقول : كان من مذهب أبو عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه ، ثم قال : فمراده والله أعلم - صنيعة في السنن الكبرى .  
ويرجع اختلاف العلماء في بيان الشروط إلى اختلاف أنظارهم في الجرح والتعديل ، والاختلاف في شروط التضعيف قوة ولينا .

والقائلون بأن له شرطا في الرجال أشد من شروط صاحبي الصحيحين ، إنما مرجع قولهم هذا إلى المبالغة في تحرى النسائي فقط ، وليس قولا مسلما به ، بل ليس بالصحيح الذى يثبت أمام النقد والتحقيق فإننا إذا نظرنا إلى بعض رجاله ، وجدنا أن فيه رجلا مجهولين إما عينا أو حالا وفيهم المجروح وفيه أحاديث ضعيفة ، وقال العلامة ابن كثير وقول الحافظ أبي على بن السكن وكذا الخطيب البغدادي في كتاب السنن للنسائي أنه صحيح ، فيه نظر وأن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم فإن فيه رجلا مجهولين إما عينا أو حالا وفيهم المجروح وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة<sup>(٣)</sup> فشرطه إذاً ليس أعلى من شرط البخارى ومسلم ، وإنما كان شديد التحرى والدقة . وقال أحمد بن

(١) أعلام المحدثين ص ٢٦٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربى : بركلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ج ٣ ص ١٩٦ ط دار المعارف .

(٣) الباحث الحثيث لابن كثير ص ٣١ .

محبوب الرملى: سمعت أبا عبد الرحمن بن شعيب النسائي يقول: لما عازمت على جمع كتاب السنن استخرت الله تعالى فى الرواية عن شيوخ كان فى القلب منهم بعض الشيء فوَقعت الخيرة على تركهم فنزلت فى جملة من الحديث كذت أعلو فيه عنهم.

هذا وقد سبق الكلام فى شرط البخارى عن الحافظ أبى بكر الحازمى: أن الطبقة الأولى هم شرط البخارى وأن مسلما يخرج أحاديث الطبقتين الأولى والثانية والثالثة ما يعتمده من غير استيعاب.

وأن أبا داود والنسائي يخرجان من أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة ولا يتجاوزانها إلى الرابعة فى الأصول بخلاف المتابعات والشواهد<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن الطبقة الثالثة التى يخرج النسائي أحاديثها لم يسلم أصحابها من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول كعناوية بن يحيى الصدفي، وإسحق بن يحيى الكلبي، والمثنى بن الصباح. وإذا تبين ذلك كله فلا يمكن أن يسلم ما ادعاه القائلون بأن شرطه أشد من شرط البخارى ومسلم. وأما الحافظ أبو الفضل بن طاهر فقال<sup>(٢)</sup>: كتاب أبى داود والنسائي ينقسم على ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول: الصحيح المخرج فى الصحيحين.

٢- القسم الثانى: صحيح على شرطهما، حكى أبو عبدالله بن منده أن شرط أبى داود والنسائي إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد ومن غير قطع ولا إرسال فيكون هذا القسم من الصحيح إلا أنه طريق دون طريق ما أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

٣- القسم الثالث: أحاديث أخرجها من غير قطع منهما بصحتها، وربما أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة، وإنما أودعا هذا القسم فى كتابيهما، لأنه رواية قوم لها واحتجاجهم بها، فأورده وبيننا سقمها لتزول الشبهة، وذلك إذا لم يجد له طريقا غيره، لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال.

ويرى العراقى أن مذهب النسائي بهذه الصورة فيه متسع، ولكن المتبادر إلى الذهن غير الواقع، لأن النسائي تجنب إخراج حديث أقوام أخرج لهم أبو داود والترمذى، بل تجنب إخراج حديث جماعة من رجال الصحيحين<sup>(٣)</sup>.

(١) الحديث والمحدثون ص ٤١٠ الدكتور محمد أبو زهو.

(٢) شرط الأئمة الستة ص ١٢.

(٣) زهر الربا على المجتبى ج ١ ص ٢.

وتلخص مما سبق بأن تحرى الإمام النسائي ودقته فى الشروط إنما كان خاصا بالسنن الصغرى وهى المعتمدة عند المحدثين وأما السنن الكبرى فكان من شرطه فيها أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه.

### مثال لما رواه النسائي وطعن فيه والدفاع عنه

قال الرسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»، وحكم ابن الجوزى على هذا الحديث بالوضع لتفرد محمد بن حمير به وهو فى نظره ليس بالقوى.

وقال السيوطى: كلاً<sup>(١)</sup> بل قوى ثقة من رجال البخارى، والحديث صحيح على شرطه، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه، وابن السنى فى عمل يوم وليلة وصححه الضياء المقدسى فى المختارة.

وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث المشكاة: غفل ابن الجوزى فأورد هذا الحديث فى الموضوعات وهو أصح ما وقع له. وقال الحافظ شرف الدين الدمياطى فى جزء جمعه فى تقوية هذا الحديث: محمد بن حميد القضاعى السايحى الحمصى كنيته أبو عبد الحميد احتج به البخارى فى صحيحه. وكذلك محمد بن زياد الألهانى، أبو سفيان الحمصى احتج به البخارى أيضاً وقد تابع أبا أمامة وعلى بن أبى طالب وعبدالله ابن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وجابر وأنس، فردوه عن النبى ﷺ وأورد حديث على من الطريقين السابقين وحديث ابن عمر والمغيرة وجابر وأنس من الطريق التى ما نريدها ثم قال: وإذا ضمت هذه الأحاديث بعضهما إلى بعض أخذت قوة، وقال الذهبى فى تاريخه نقلت من خط السيف أحمد بن أبى المجد الحافظ قال: صنف ابن الجوزى كتاب الموضوعات فأصاب فى ذكره أحاديث مخالفة للنقل والعقل، ومما لم يصب فيه إطلاقه الوضع على أحاديث بكرم بعض الناس فى أحد روايتها كقوله: فلان ضعيف أو ليس بالقوى وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه، ولا فيه مخالفة ولا معارضة كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام ذلك الرجل فى راويه. فتبين أن السبب فى إيراد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات هو قول يعقوب بن سفيان فى راويه محمد

(١) اللآئى المصنوعة ج ١ ص ١١٩.

بن حميد: ليس بالقوى ومحمد هذا روى له البخارى فى صحيحه ووثقه أحمد وابن معين. أ. هـ ولم يخرج له فى الاحتجاج وقد ضعفه كثير من الأئمة، فقال يحيى بن معين عنه: ضعيف، وقال أبو حاتم بن حبان: لا يحتج به، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه. وأورد له عدى أربعة أحاديث مناكير، وأما قول ابن الصلاح عنه: وهو شيخ صالح<sup>(١)</sup> فإنما أخذه من كلام أبي يعلى الخليلي، ثم إنه لا يلزم من صلاحه الاحتجاج بما يرويه.

### درجة أحاديث السنن

صنف الإمام النسائي السنن الصغرى بعد السنن الكبرى ولخصه منه، وتحرى فيه الدقة البالغة ولا يكاد يوجد فى هذا الكتاب حديث موضوع، فقد سار فى تأليفه بمنتهى الحيطة، وتجنب الرواية عن كل من تكلم فيه، حتى قيل عنه: إن درجة السنن الصغرى بعد الصحيحين، لأنه أقل السنن بعدهما ضعفا، وإن قال أبو الفرج ابن الجوزى: إن فيها عشرة أحاديث موضوعة فقد نازعه فى ذلك السيوطى فى كتابه «التعقبات على الموضوعات»، ولو سلمنا برأى ابن الجوزى فهذا عدد يسير بالنسبة إلى مثل هذا الكتاب العظيم الذى يعد من دواوين السنة المعتمدة ولا ينقص من عظمتها ما ذكر فيه: هناك رأيان فى صحة ما فى الكتاب:

**الأول:** ما يراه الدار قطنى وابن منده وابن السبكي وأبو على النيسابورى وأبو أحمد بن عدى أن كل ما فى السنن صحيح، ووافقوا فى ذلك النسائي.

**الثانى:** ما يراه بعض العلماء كابن كثير أن فيه رجالا مجهولين إما عينا أو حالا وفيهم المجروح، وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة.

وأرى أن ابن الجوزى يقصد السنن الصغرى، وعلى فرض ما قيل فيه، فهو لا ينقص من قيمة هذا الكتاب النفيس، ولا يغيض من درجته العلمية، وخاصة أن النسائي كان يذكر حكمه على درجة الحديث إذا كان منكرا وهكذا.

### مثال من سنن النسائي، مما حكم عليه بأنه منكر

أخرج النسائي من رواية أبى بكير يحيى بن محمد بن قيس عن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا البلح بالتمر، فإن ابن آدم إذا أكله غضب الشيطان»

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠.

الحديث، قال النسائي: هذا الحديث منكر، قال ابن الصلاح<sup>(١)</sup> تفرد به أبو زكير وهو شيخ صالح أخرج عنه مسلم في كتابه غير أنه يبلغ مبلغ من يحتمل تفرده «أ. هـ» وإنما أخرج له مسلم في المتابعات.



---

(١) مقدمة ابن صلاح (٣٠).

## الإمام ابن ماجة

### نسبه ونشأته:

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة الريعي القزويني و«ماجة» ليس جده، وإنما هو لقب أبيه يزيد؛ لأن أغلب المترجمين له قالوا: محمد بن يزيد بن ماجة، واشتهر بذلك «القزويني» نسبة إلى إقليم قزوين، لأن به مولده ونشأته. ولد سنة تسع ومائتين من الهجرة، ونشأ محبا للعلم، فتوجه بهمة عالية إلى مجالس العلماء وحلقاتهم يأخذ عنهم، ويتعلم منهم، فسار على درب الذي سار عليه من سبقه من أئمة الحديث إقبالا على العلم، وتدوينا للسنة النبوية ونمي ثروته العلمية، بتتبع مدارس الحديث المختلفة في بلاد كثيرة طوف بها فأخذ عن علمائها واستفاد من مناهجها، وكانت نشأة البخاري قائمة على أساس من العلم والعمل والأخذ والعطاء، فتعلم وحصل وعمل بما علم فكان تقيا ورعا مخلصا في رسالته، ودرس وحفظ وألف ودون، ولم يقتصر نشاطه العلمي على التأليف بل تعداه إلى التدريس والتعليم وكان له تلاميذ روي عنه. وقد حصل الكثير حتى أصبح إماما في الحديث عارفا بعلمه، وجميع ما يتعلق به.

### حياته العلمية:

قام ابن ماجة برحلات علمية يستهدف تزويد ثقافته، وتدوين الكثير من الأحاديث إلى جانب ما جمعه من بلده، فطوف بكثير من الأقطار والبلاد فرحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر وغيرها من البلاد، ولقى كثيرا من أئمة الحديث، وسمع من أصحاب مالك والليث حتى أصبح إماما من الأئمة الأعلام. وقد شهد له بالثقة والحفظ كثير من الأئمة قال أبو يعلى الخليل بن عبدالله القزويني: ابن ماجة ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة وحفظ، ووصفه الذهبي بأنه الحافظ الكبير المفسر<sup>(١)</sup>.

### شيوخه وتلاميذه:

أتاحت لابن ماجة رحلاته العلمية التي اتسمت بالهمة العالية في تدوين الحديث أن يلتقي بكثير من شيوخ البلاد الذين أخذ عنهم فسمع من أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٠٤، مرآة الجنان للبيهقي ج ٢ ص ١٨٨، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥٣١.

عبدالله بن نمير، وجبارة بن المغلس وهشام بن عمر، ومحمد بن بشار وعمر بن عثمان بن سعيد وغيرهم من أئمة الحديث.

وروى عنه: علي بن سعيد بن عبدالله، وإبراهيم بن دينار الجرشي، الهمداني وأحمد ابن إبراهيم القزويني وسليمان بن يزيد القزويني، ومحمد بن عيسى الصفاء وأبو عمرو أحمد ابن محمد بن حكيم المدني الأصبهاني وغيرهم.

### مؤلفاته:

ولابن ماجة مؤلفات كثيرة منها:

- ١- كتاب السنن المتداول الآن، وهو أحد الكتب الستة.
  - ٢- تفسير القرآن وهو تفسير حافل كما قال ابن كثير.
  - ٣- كتاب التاريخ: أرخ فيه من عصر الصحابة إلى وقته.
- وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل ممثلة بالبحث والتأليف، توفي ابن ماجة في ٢٢ رمضان سنة ٢٧٣ هـ وصلى عليه أخوه أبو بكر، وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبدالله وابنه عبدالله<sup>(١)</sup>.

ومن أعظم مؤلفاته كتابه القيم «السنن» الذي سنتناول دراسته الآن.



---

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥٣١، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٨٨.

## سنن ابن ماجة

### تعريف الكتاب:

صنف ابن ماجة كتاب السنن على الأبواب ورتبه ترتيبا فقهيا كشأن الكتب السابقة، وقد قسم «السنن» إلى كتب وأبواب فبلغت سبعة ألف باب، وكان مجموع أحاديثه أربعة آلاف حديث في الصحيح والحسن، وثلاثين كتابا عدا المقدمة وعدد الأبواب ١٥١٥ خمسة عشر وخمسمائة، والضعيف، بل والمنكر، والموضوع على قلة.

وقد ابتدأ ابن ماجة كتابه بباب اتباع سنة رسول الله ﷺ وساق فيه الأحاديث الدالة على حجية السنة ووجوب اتباعها والعمل بها. وقد عدَّ أحاديث السنن الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الذي حققه فكان جملة أحاديثه ٤٣٤١ أربعة آلاف وثلاثمائة وواحدا وأربعين حديثا منها ٣٠٠٢ اثنان وثلاثة آلاف حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة أما باقي الأحاديث وعددها ١٣٣٩ ألف وثلاثمائة وتسعة وثلاثون حديثا فهي الزوائد على ما جاء بالكتب الخمسة، ومن هذه الأحاديث الزوائد ٤٢٨ أربعمائة وثمان وعشرون حديثا رجالها ثقات، صحيحة الإسناد، ومنها ١٩٩ تسعة وتسعون ومائة حديث حسنة الإسناد ومنها ٦١٣ ثلاثة عشر وستمائة حديث ضعيفة الإسناد أو منكرا أو مكذوبة.

وقد علا ابن ماجة في بعض الأحاديث حتى صار بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة رجال وهي ما تعرف بالثلاثيات.

وقد روى كتاب السنن عن ابن ماجة: أبو الحسن القطان وسليمان بن يزيد وأبو جعفر ومحمد بن عيسى وأبو بكر حامد الأبهري وكتاب السنن شروح أهمها:

١- شرح الشيخ كمال الدين محمد بن موسى العميري الشافعي المتوفى سنة ثمان وثمانمائة ٨٠٨ هـ في خمسة مجلدات واسم هذا الشرح: الديباجة.

٢- شرح الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة واحد وأربعين وثمانمائة.

٣- شرح الحافظ السيوطي واسم هذا الشرح «مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة» واختصر شرح السيوطي على بن سليمان الدمناطي الياجمعاوي في «نور الصباح» وطبع

في القاهرة سنة ١٢٩٦ هـ.

- ٤- شرح الشيخ السندی المدنی المتوفى ١١٣٨هـ وهو شرح وجيز.
- ٥- شرح العلامة سراج الدين عمر بن الملحق الشافعي المتوفى ٨٠٤هـ أربع وثمانمائة واسم هذا الشرح: «ما تمس إليه الحاجة على سنن ابن ماجة» واقتصر فيه على شرح زوائد سنن ابن ماجة على الكتب الخمسة<sup>(١)</sup>.

### منهجه ودرجة أحاديثه

نهج ابن ماجة في تصنيف كتابه نهجا سلك فيه سبيل من قبله بتبويبه تبويبا فقهيا، وترتيبه ترتيبا حسنا، فامتاز كتابه بحسن التنسيق وسعة الجمع، وجمال الترتيب، ولم يشترط في كتابه الصحة، وإنما أخرج فيه الصحيح والضعيف بل والمنكر والموضوع على قلة كما أخرج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم وقد عد كثير من العلماء المتقدمين، وبعض المحققين من بعدهم أصول كتب الحديث الخمسة:

صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبى داود، وسنن النسائى، وسنن الترمذى، ولم يضم إليها سنن ابن ماجة لتأخر رتبة السنن عن هذه الكتب.

ولكن بعض العلماء اللاحقين أضاف إليها كتاب السنن لابن ماجة وجعلها سادسا، لما فيها من جمال الترتيب وحسن الانتقاء، وكثرة ما فيها من النفع فى أبواب الفقه وكثرة زوائدها على الكتب الخمسة بخلاف الموطأ فإن أحاديثه موجودة فى الكتب الخمسة إلا القليل.

وأول من ضم سنن ابن ماجة إلى الكتب الخمسة ابن طاهر المقدسى، وتابعه أصحاب الأطراف وغيرهم<sup>(٢)</sup> وقد خالف فى ذلك بعض العلماء كالعلائى وابن حجر ورأى أن يجعل سادس الكتب كتاب الدارمى لأن ابن ماجة أخرج أحاديث الرجال المتهمين بالكذب وسرقة الأحاديث أما سند الدارمى فأكثر صحة منه، وأحاديثه مسندة، ولذا سمي مسندا، وأيضا فى كتاب الدارمى قليل من الرجال الضعفاء ونادر من الأحاديث المنكرة والشاذة، وإن كان فيه كثير من الأحاديث المرسلة والمنقطعة والمعضلة والمقطوعة<sup>(٣)</sup>.

وذهب بعض العلماء منهم رزين السرقسطى، والمجد بن الأثير أن سادس الكتب الستة «الموطأ» للإمام مالك لصحة الموطأ وعظم شأنه.

(١) تاريخ الأدب العربى ج ٣ ص ١٩٩، أعلام المحدثين ص ٢٨٥.

(٢) تدريب الراوى ص ٤٩.

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٤٢ تدريب الراوى ص ١٠٠.

والحق أن كتاب «الموطأ» أولى بذلك من سنن ابن ماجة، فإن في أحاديث السنن ما حكم عليه بالبطلان والنكارة، وأما الموطأ فهو أعلى درجة من سنن ابن ماجة. وروى عن ابن ماجة أنه قال: «عرضت هذه السنن على أبي زرعة الرازي، فنظر فيها وقال: لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً في إسناده ضعف»، وذكر المقدسي أنها بضعة عشر حديثاً ونحوها<sup>(١)</sup>. ولكن الإمام أبا عبدالله بن رشيد تكلم عن سنن ابن ماجة أثناء حديثه عن كتاب النسائي، وبين أن ابن ماجة تفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ورد على قول أبي زرعة السابق بقوله: «وأما ما حكاه ابن طاهر عن أبي زرعة الرازي أنه نظر فيه فقال: لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً مما فيه ضعف فهي حكاية لا تصح لانتقطاع سندها، وإن كانت محفوظة فلعله أراد ما فيه من الأحاديث الساقطة إلى الغاية، أو كان ما رأى من الكتاب إلا جزءاً منه فيه هذا القدر»<sup>(٢)</sup>. «أ. ه».

وانتقد الحافظ ابن الجوزي أيضاً بعض أحاديث دونها ابن ماجة في كتابه وعددها ثلاثون حكم عليها ابن الجوزي بالوضع وقد دافع عنها السيوطي في كتابه «التعقبات» وأرى أن في سنن ابن ماجة بعض الموضوع إلا أن بعض هذه الأحاديث الموضوعية وضع غلطا مثل ما روى: «من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار» فهذا موضوع عن غير تعمد فقد رواه ابن ماجة عن إسماعيل بن محمد الطلحي عن ثابت بن موسى الزاهد عن شريك عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعاً، فقد غلط ثابت بن موسى فظنه حديثاً وليس بحديث والسبب في هذا الغلط ما ذكره الحاكم قال: دخل ثابت بن موسى على شريك بن عبدالله القاضي والمستملى بين يديه، وشريك يقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ولم يذكر المتن، فلما نظر شريك إلى ثابت ابن موسى قال: «من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار» وإنما أراد شريك مدح ثابت لزهده وورعه، فظن ثابت أنه روى هذا الحديث مرفوعاً بهذا الإسناد، فكان ثابت يحدث به عن شريك بهذا الإسناد غلطا، وقد سرقه منه جماعة ضعفاء وحدثوا به عنه وهذه القصة إنما تدل على بعد نظر نقاد الحديث ودقتهم في معرفة علل الحديث، حيث أنهم كانوا على إحاطة ويقظة ليعرفوا ويميزوا الأحاديث الصحيحة من غيرها وعلى كل

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٨٩، شروط الأئمة الستة ص ١٦.

(٢) زهر الربا على المجتبي ج ١ ص ٣.

فإن الأحاديث الموضوعة التي في هذا الكتاب قليلة بالنسبة إلى ما دونه في كتابه القيم العظيم فهي لا تنقص من مكانته العلمية ونفعه المثمر، وأنه من دواوين السنة النبوية ولكن الواجب على كل باحث ودارس في هذا الكتاب العظيم ألا يأخذ من الأحاديث التي انفرد بها الإمام ابن ماجة في هذا الكتاب إلا بعد التمحيص والنظر الدقيق والتحرى عن الرواة ليتأكد من صحة الحديث للاحتجاج به.

وسأقدم هنا نموذجاً من الأحاديث التي انتقدها المتأخرون من سنن ابن ماجة وهي صحيحة مما طعن فيها (أبورية) وغيره حديث «خمروا الآنية وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الأبواب». وأكتفوا صبيانكم عن النساء «هكذا نقله والصواب: عند العشاء، فإن للجن انتشاراً وخطفة وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة أى الفأرة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت البيت» فقد تحامل «أبورية» على رواية الإسلام «أبى هريرة» الذى روى هذا الحديث قطعاً في صحته، فى كتابه «أضواء على السنة المحمدية» ووصل به تحامله على هذا الصحابى الجليل إلى حد أراد فيه أن يشوه الحقائق ويبدل هذه المحاسن والفضائل إلى رذائل.

### الإجابة عن ذلك:

وهذا الحديث الذى رواه أبو هريرة وهو من الأحاديث الصحيحة التى أخرجها ابن ماجة فى كتابه السنن لم ينفرد به ابن ماجة وإنما رواه البخارى فى بدء الخلق فى باب «خمس من الدواب فواسق...» من رواية جابر بن عبدالله كما رواه مسلم فى صحيحه أيضاً عن جابر، فإسناد الحديث صحيح، فهو مروى من طرق عدة ولم ينفرد ابن ماجة بتخريجه وإنما أخرجه البخارى ومسلم.

### وأما من ناحية نقد المتن:

فإن الحديث دعا إلى جملة من المبادئ تعد من محاسن الإسلام وفضائله التى تعود ثمرتها بالمحافظة على النفس والمال والولد من كل ضرر وعبث وفساد وقوله: (خمروا الآنية) أى غطوها، وفى تغطية الآنية صيانة للطعام والشراب مما يترتب عليه المحافظة على الصحة. وقوله «وأوكئوا الأسقية» أى شدوا القرب بالوكاء واربطوها، وهى محافظة على الماء الذى نشربه وصيانة لردم نقائه.

وقوله: «وأجيفوا الأبواب» أى أغلقوها وهذه دعوة للمحافظة على النفس والمال والولد من كل فساد وأضرار.

وقوله: «وأكتفوا صبيانكم عند العشاء» بمعنى أن تضموهم وتحافظوا عليهم... وتمنعوهم من الخروج فى مثل هذا الوقت لأن للجن انتشارا وخطفة. وقوله (وأطفئوا المصابيح عند الرقاد) وذلك حتى لا يترتب على تركها ضرر يلحق الإنسان فى أهله وماله، إنها إذاً مبادئ سامية وفضائل عظيمة المغزى كلها محافظة وصيانة للنفس والولد والمال ولها من الثمرات ما يترتب عليه الأمان بين الناس والطمأنينة فى حياتهم... فهل فى هذا المتن ما يدعو إلى الغرابة؟ هذا هو النقد الداخلى لمتن هذا الحديث وهذه هى الفضائل التى يدلنا عليها فهل فيها ما يتناقض مع العقل السليم أو المنطق؟ ولو كان عند أولئك الطاعنين شىء من علم أو رغبة فى البحث فليضعوا هذه المثل الرشيدة السديدة أمام الباحثين الاجتماعيين وليبسطوها على بساط البحث وتحت مجهر النقد الحديث ليروا ماذا تكون النتيجة وليعلموا أن تعاليم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بلغت القمة فى سموها وأثرها على حياة الناس ونفوسهم وأن هؤلاء الطاعنين إنما يتصدون لبعض روايات لحديث ما يحاولون بافتراءهم تشويهه بإخلادهم إلى الأرض واتباعهم أهواءهم.

### منزلة المسانيد من السنن

وبما سبق من بيان درجة أحاديث كل كتاب من كتب السنن، بقى أن يعرف درجة المسانيد ومنزلتها من السنن:

ومن العلوم أن المسند: هو ما أفرد فيه حديث كل صحابى على حدة من غير نظر للأبواب كمسند أبى داود الطيالسى، ومسند أحمد بن حنبل، وأبى بكر بن أبى شيبه وأبى بكر البزار، وأبى القاسم البغوى وغيرهم. وواضح أن من يجمع مسندا من المسانيد لصحابى، إنما يقوم بجمع ما يقع له من حديث سواء كان صالحا للاحتجاج أم لا؛ لهذا كانت منزلة المسانيد تلى كتب السنن فى الرتبة لأن أصحابها لم يتقيدوا بكون الحديث محتجا به أم لا، فلا تلتحق بالأصول الخمسة وما أشبهها<sup>(١)</sup>.



(١) فتح الغيث ج ١ ص ٥٠، تدريب الراوى ص ١٩.

## الإمام يحيى بن معين

### نسبه ونشأته:

هو أبو زكريا يحيى بن معين بن عون - وقيل غياث بدل عون - بن زياد بن بسطام ابن عبد الرحمن المرى - نسبة إلى مرة غطفان قبيلة كبيرة مشهورة - البغدادي الحافظ، قيل إنه من قرية نحو الأنبار تسمى «نقياي» وولد في سنة ثمان وخمسين ومائة ١٥٨ هـ بهذه القرية، وكان أبوه كاتباً لعبدالله بن مالك وقيل إنه كان على خراج الرى فمات فخلف لابنه يحيى ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفق جميع المال على الحديث. ونشأ محباً للعلم والعمل فكان مثلاً عظيماً في التقوى والورع، يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، يقول ابن الرومي: (ما سمعت أحداً قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى ابن معين وغيره كان يتحامل بالقول) وقال يحيى: ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته وأحبتت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ولين أبين له خطأه فيما بينى وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته، وكان يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وكثيراً ما كان ينشد:

المال يذهب حله وحرامه	طرا ويبقى في غد آثامه
ليس التقى بمتق لإلهه	حتى يطيب شرابه وطعامه
يطيب ما يحوى وتكسب كفه	ويكون في لحسن حديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه	فعلى النبي صلاته وسلامه

وكل ذلك يدل على ما كان عليه من ورع وتقوى، وشدة التحرى والفحص للرجال... وكان بينه وبين الإمام أحمد رضى الله عنه من الصحة والألفة والاشتراك فى الاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور، ولا شك أن هذه الألفة نتيجة توافق الشخصيتين علماً وعملاً وورعاً بالغا.

ومات الإمام يحيى بن معين لسبع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وعاش خمسا وسبعين سنة على الأصح، وقيل سبعا وسبعين سنة إلا بعض أيام. ورثاه بعض المحدثين بقوله:

ذهب العليم بعيب كل محدث      ويكل مختلف من الإسناد  
وبكل وهم فى الحديث ومشكل      يعيا به علماء كل البلاد

وكانت وفاته بمدينة النبى ﷺ ، وغسل على الأعواد التى غسل عليها النبى ﷺ ، وقيل :  
إنه لما خرج من المدينة سمع فى النوم هاتفا يقول : يا أبا زكريا أترغب عن جوارى؟ فرجع  
وأقام بها ثم توفى وإذا صح هذا الخبر، فإنه يوضح مدى العلاقة الروحية التى تربط الإمام  
يحيى بن معين بصاحب السنة المطهرة عليه أفضل الصلاة والسلام بالإضافة إلى خدماته  
الجليلة للسنة النبوية ، قال أبو حاتم : يحيى بن معين إمام وقال النسائى : هو أبو زكريا  
الثقة المأمون أحد الأئمة فى الحديث<sup>(١)</sup>.

### حياته العلمية:

كان ابن معين أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت إليهم الزعامة فى الحديث وهم : أحمد  
ابن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وأبو بكر بن أبى شيبه وقال إنه أول من  
صنف كتابا بعد طبقات ابن سعد فى تراجم المحدثين وتاريخ حياتهم.  
وكان إماما حافظا متقنا لا يشق له غبار، كتب كثيرا من الحديث وخلف من الكتب  
مائة قمطر، وقال على بن المدينى : انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبى كثير وقتادة،  
وعلى الكوفة إلى إسحق والأعمش، وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب وعمرو بن دينار  
وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبى عروبة وشعبة ومعمر وحمام بن سلمة وأبى  
عوانة، ومن أهل الكوفة : سفيان بن عيينة ومالك وسفيان الثورى، ومن أهل الشام إلى  
الأوزاعى، وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحق وهشام ويحيى بن سعيد بن أبى زائدة  
ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علما، وابن مهدي ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء  
جميعا إلى يحيى بن معين، وقال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين  
فليس بحديث وكان يقول : ها هنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين  
يعنى يحيى بن معين. وبذلك يتضح لنا أن يحيى بن معين كان إماما فى الحديث عالما  
بكل جوانب السنة، فقد استوعب الكثير وحصله فكانت له مكانته فى نفس العلماء،  
وكان له التقدير العظيم منهم، وظل مرجعا لكبار الأئمة إذا اختلفوا فى شيء رجعوا إليه.

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٤، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٢. مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٨.

## ومن مؤلفاته:

١- كتاب التاريخ والعلل وهو مرتب على حروف المعجم.

٢- كتاب معرفة الرجال وقد بلغ يحيى بن معين درجة سامية فى معرفة الرجال ونقدهم، وقال عبد المؤمن بن خلف النسفى: سألت أبا على صالح بن محمد: من أعلم بالحديث.. يحيى بن معين أم أحمد بن حنبل؟ فقال: أما أحمد فأعلم بالفقه والاختلاف، وأما يحيى فأعلم بالرجال والكنى. ويؤخذ من ذلك أن كل واحد من هذين الإمامين قد تخصص فى ناحية فحذقها وأتقنها، فالإمام أحمد برع فى مسائل الفقه، الأحكام الشرعية وما يستتبعها من الاختلاف، وأما الإمام يحيى بن معين، فإنه كان أعلم بالرجال والكنى، يسبر أغوار الرجال ويحلل شخصياتهم، ويعرف الثقات منهم ويقف على أحوال الرجال والحكم عليهم.

ومع هذا فلم يطلق ابن معين العنان لنفسه فيروى ما شاء من الأحاديث مطمئنا إلى حفظه ومستندا إلى معرفته بالرجال، وإنما كان يتحرى الدقة فى روايته، والحيلة فيها مخافة الخطأ، قال يحيى: إنى لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه<sup>(١)</sup>. وكان يحيى بن معين مرجع الأئمة فى معرفة الرجال، قال العباسى بن محمد الدوى: «رأيت أحمد بن حنبل يسأل يحيى بن معين عن روح بن عباد من فلان؟ وما اسم فلان؟» فابن حنبل إذن كان يسأل ابن معين، ويستفسر منه عن الرجال الذين لا يعرفهم، وما ذلك إلا لإحاطة ابن معين الكاملة بمعرفة الرجال ومكانتهم وأحوالهم، ولذا شهد له ابن حنبل فقال: «يحيى بن معين أعلمنا بالرجال» كما شهد له النسائى بالإمامة فى الحديث والثقة والأمانة.

وكيف لا، وقد وقف على معرفة الرجال فألم بكل ما يتعلق بهم جرحا وتعديلا، ودون من الأحاديث عدا هائلا يدل على أمانته وإحاطته، وتضلعه فى السنة ورجالها، يقول يحيى بن معين: «كُتبت بيدي ألف حديث»<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ بغداد جـ ١٤، ص ١٨٤ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٨٤، مآة الجنان جـ ٢ ص ١٠٨، تاريخ الأدب العربى جـ ٣ ص ١٦١، الحديث والمحدثون ص ٣٤٤.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ٢ ص ٤٢٩، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم، القسم الثانى من المجلد الرابع.

## شيوخه وتلاميذه:

كان من شيوخ ابن معين الذين روى عنهم: عبدالله بن المبارك وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي وهيثم ووكيع، ويحيى القطن وغيرهم. ومن تلاميذه الذين روى عنه، وسمعوا منه، كبار أئمة الحديث أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، وأبو داود السجستاني، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، وأحمد بن حنبل ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ويعقوب ابن شيبة.

وقد أجمع العلماء على إمامته وجلالته في هذا الشأن لاسيما فيما يتعلق بالجرح والتعديل وكشف حال الكذابين مع التثبت والتمكن، وقد دفعه صدقه وشدة تحريه في سماعه وروايته وتمكنه من نفسه أنه استقبل القبلة ورفع يديه يقول: «اللهم إن كنت تكلمت في رجل ليس هو عندي كذابا فلا تغفر لي» وهذا يدل على ثقته وإحاطته بالحديث وعلله والجرح والتعديل وتثبته في التمييز بين صحيح الحديث وسقيمه ونبوغته في هذا الفن مما جعل الإمام أحمد بن حنبل يقول فيه: «سماع من يحيى بن معين شفاء لما في الصدور» وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من أقرانه، وقد عدّه الحاكم في كتابه (علوم الحديث) من فقهاء المحدثين، وبهذا نرى مدى منزلته العلمية في نفوس الأئمة الكبار من معاصريه<sup>(١)</sup>.



---

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٤.

## منهج ابن معين فى نقد الرجال

كان يحيى بن معين ممن يتقيه الرجال ويخافونه، فلا يستقبلونه إلا بالأحاديث المستقيمة ومن أجل هذا وثق ابن معين رجالا لسماعه منهم جملة من الأحاديث المستقيمة، وفى الواقع أنهم لا يبعد الخلط عنهم. ولما كان كذلك، فإن أئمة النقد نظروا فيمن وثقه يحيى بن معين للتأكد من صحة هذا التوثيق. فقد يقرونه، إلا أنهم يردوا توثيقه كما ردوا توثيق ابن حبان والحاكم لأنه لم يبلغ فى التساهل ما بلغاه. ويمكننا تحديد منهجه فى النقد باستقراء آراء بعض الأئمة المحققين، ونقدم للرجال، وبيان موقفهم من توثيق يحيى بن معين لكثير من المجروحين.

مثال ذلك: محمد بن قيس الهمداني، عن ابن عمرو عن إبراهيم النخعي، وعنه سفيان ابن سعيد وأبو عوانة، وضعفه أحمد بن حنبل، وأما يحيى بن معين فوثقه.

ومثل: محمد بن كثير بن قرشى الكوفى أبى إسحق عن ليث والحارث بن حصيرة، قال أحمد بن حنبل: مزقنا حديثه، وقال البخارى: كوفى منكر الحديث، وقال ابن المدينى: كتبنا عنه عجائب، وخططت على حديثه، يقول الذهبى: ومن مناكيره عن عطية عن أبى سعيد مرفوعا «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»<sup>(١)</sup> فرواه ابن وهب عن الثورى عن عمرو بن قيس قال: كان يقال: اتقوا... إلخ، فذكره. أما يحيى بن معين فيقول فيه شيعى ولم يك به بأس.

ومثل محمد بن مسلم، ويقال محمد بن مهران بن مسلم بن المثنى عن جده أبى المثنى قال الفلاس روى عنه داود الطيالسى مناكير، وقال ابن مهدي لين الحديث، وقال الذهبى قد وثقه ابن معين فيما حكاه ابن القطان.

مثل النضر بن عربى أبى روح العامرى الجزرى، قال عثمان بن سعيد الدارمى: ليس بذلك، وقال ابن سعيد لم يكن بذاك وقال النسائى: ليس بالقوى، وقال ابن معين ثقة وقد قرر الشيخ المحدث عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى: (أن عادة ابن معين فى الرواة الذين أدركهم أنه إذا أعجبتة هيئة الشيخ يسمع منه جملة من أحاديثه فإذا رأى أحاديث

(١) ميزان الاعتدال حرف "الميم".

مستقيمة ظن أن ذلك شأنه فوثقه، وقد كانوا يتقون يحيى بن معين ويخافونه، فقد يكون أحدهم ممن يخلط عمدا ولكنه حين يعلم أن في مجلسه يحيى بن معين استقبله بأحاديث مستقيمة، ولما يبعد الخلط عنه فإذا وجدنا ممن أدركه ابن معين من الرواة من وثقه ابن معين وكذبه الآخرون أو طعنوا فيه طعنا شديدا فالظاهر أنه من هذا الضرب، فإنه يزيد توثيق ابن معين وهنا لدلالته على أنه كان يتعمد، ويفيد هذا في أن من لينه يحيى بن معين أو ضعفه فإنما يكون ذلك بعد استنفاد كل وسائل الإعذار ويكون من هذا شأنه إنما حكم عليه يحيى بعد تدبر وتقص ومن ثم يكون حكمه بجرحه لا يثلم بحال<sup>(١)</sup>.

### شبهة على منهج ابن معين في التوثيق:

من المعلوم أن التعديل مراتب ولكل مرتبة ألفاظ، واصطلاحات خاصة بها فمثال المرتبة الأولى قولهم (ثقة ثقة) بتكرار اللفظ ومثال الثانية (ثقة) بدون تكرار ومثال الثالثة (لا بأس به) وهكذا... وقد اشتبه على البعض أن يحيى بن معين لا يفرق بين المرتبة الثانية والثالثة من مراتب التعديل وإنما يسوى بينهما، وبنوا الحكم على قول ابن خيثمة: قلت ليحيى بن معين: إنك تقول «فلان ليس به بأس» و«فلان ضعيف»، قال: إذا قلت لك ليس به بأس فهو ثقة، وإذا قلت لك: هو ضعيف فليس هو بثقة لا تكتب حديثه. ففهم البعض من ذلك أن درجة من يقول فيه (ليس به بأس) هي درجة من يقول فيه (ثقة).  
الجواب على ذلك: هو أنه لا يؤخذ من قول ابن معين السابق، وأن من يقول فيه ليس به بأس مثل من يقول فيه (ثقة)، وأن مقالته السابقة لا تفيد المساواة بين العبارتين، ليس هذا مراد بن معين، وإنما مراده - والله أعلم - أن من قال فيه ليس به بأس، فهو داخل في مضمون الثقة وهي مراتب كما سبق بيانها وأن مرتبة ثقة أعلى من مرتبة (ليس به بأس) فهما مختلفان وإن اشتركا في مطلق الثقة<sup>(٢)</sup>.



(١) مجلة الأزهر عدد صفر سنة ١٣٩٢هـ من بحث للأستاذ محمد نجيب المطيعي.

(٢) فتح المغيب ج ٢ ص ٣٩.

## على بن المدينى

### نسبه ونشأته:

هو أبو الحسن على بن عبدالله بن جعفر بن يحيى بن بكر بن سعيد، وقيل: جعفر بن نجيج بن بكر المدينى، وولد سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة ونشأ على العلم والعمل. وكانت له مناقبه الجمّة، لولا أنه كبر ذلك بتعلقه بشيء من مسألة خلق القرآن، ولكنه تخل بعد ذلك عن هذا القول، وندم على ما كان منه فى هذا الموقف.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقدّره ويجلّه، وقال أبو حاتم: كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحمد بن حنبل سماه قط، وإنما كان يكنيه تبجيلا له وقد شهد له بالفضل شيوخته الذين أخذ عنهم، ومن هؤلاء شيخه سفيان بن عيينة الذى كان بينه وبين ابن المدينى من المحبة والإكبار الشيء الكثير حتى قال ابن عيينة: (يلوموننى على حب على بن المدينى والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى) وقد رأى ابن المدينى فيما يرى النائم ما يبشّر له المكانة العالية كما فسر ذلك بعض العلماء، قال أبو قدامة السرخسى: سمعت على بن المدينى يقول رأيت فيما يرى النائم كأن الثريا نزلت حتى تناولتها، قال أبو قدامة فصدق الله رؤياه، فبلغ فى الحديث مبلغا لم يبلغه أحد<sup>(١)</sup>. ونشأ على بن المدينى نشأة علمية يرجع فيها إلى كبار العلماء ويذاكر الأئمة العظام حتى بلغ مبلغا عظيما فى العلم فقدّره العلماء أيما تقدير وشهدوا له بالفضل والإمامة، ومن ذلك التقدير ما شهد البخارى لشيخه على إذ يقول: ما استصغرت نفسى إلا عند على بن المدينى.

وقد عرف ابن المدينى بالعلم والفضل، وأما ما قيل فيه من أنه أجاب إلى القول بخلق القرآن كما سبقت الإشارة إليه فذلك راجع إلى أنه إنما أجاب خشية السيف. قال ابن عدى سمعت ابن أبى يوسف القلوسى، سمعت أبى يقول: قلت لابن المدينى: مثلك فى علمك يجيب إلى ما أجبت إليه، فقال: يا أبا يوسف ما أهون عليك السيف. وقال: خفت أن أقتل ولو ضربت سوطا واحدا لمت، هذا مع ملاحظة أنه رجع عما قال وأظهر توبته من ذلك.

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٢، ص ٣٥٧، تاريخ الأدب العربى ج ٣ ص ٢٢٠. طبقات الشافعية الكبرى

ج ٢ ص ٢٤٦، تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٨٢.

## حياته العلمية:

عاش ابن المدينى حياة علمية خصبة كثر فيها إنتاجه، وزادت مؤلفاته، وأصبح من أئمة الحديث الكبار وخاصة ما يرجع إلى الرجال والعلل، ولهذا عرف العلماء له فضله، وشهدوا له بالمعرفة والتقدم ولا غرابة فى هذا فهو من بيت علم وفضل.

## شيوخه وتلاميذه:

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم، أبوه، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة وهيثم وابن وهب، وعبد الوارث، والوليد بن مسلم، ويحيى القطان، وعبد الرحمن المهدي، وابن عليّة وعبد الرزاق وغيرهم.

ومن تلاميذه: محمد بن يحيى الذهلى، والبخارى، وأبو داود، والنسائى والترمذى وابن ماجة وأبو يعلى الموصلى، وأحمد بن حنبل، وعبدالله البغوى وآخرهم موتا عبدالله بن محمد ابن أيوب الكاتب.

ولابن المدينى تصانيف كثيرة نحو مائتين، قال العلامة محبى الدين النووى، لابن المدينى نحو مائتى مصنف، منها «كتاب معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان» فى خمسة أجزاء لطيفة. وذكر الحاكم فى معرفة علوم الحديث جملة وافرة من مؤلفاته تدل على رسوخ قدمه واتساع أفقه فى علوم السنة، فمن ذلك «كتاب الأسامى والكنى» ثمانية أجزاء (وكتاب الضعفاء) عشرة أجزاء (وكتاب المدلسين) خمسة أجزاء (وكتاب الطبقات) عشرة أجزاء (وكتاب علل المسند) ثلاثون جزءاً (وكتاب علل حديث ابن عيينة) ثلاثة عشر جزءاً (وكتاب من لا يحتج بحديثه ولا يسقط) جزءان (وكتاب العلل المتفرقة) ثلاثون جزءاً، (وكتاب مذاهب المحدثين)<sup>(١)</sup> وغير ذلك.

وهذه المؤلفات النفيسة الكثيرة تدل على تبحره فى هذا العلم وتمكنه وسعة أفقه وقد كان متقناً لدرجة عالية. روى ابن أبى حاتم الرازى عن محمد بن مسلم بن وارة، وسئل عن على ابن المدينى ويحيى بن معين: أيهما أحفظ؟ قال: كان على أسرد وأتقن، وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه. وكان ابن المدينى المرجع للعلماء إذا اختلفوا فى شىء تكلم فيه، وقال صاعقة: كان ابن المدينى إذا قدم بغداد تصدر الحلقة، جاء يحيى

(١) الرسالة المستطرفة ص ١٢٧.

وأحمد بن حنبل والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا فى شىء تكلم فيه ابن المدينى، وما هذا إلا لمعرفة قدره، ولأنه بلغ فى العلم مبلغا عظيما يرجع إليه فيه. وتوفى ابن المدينى سنة أربع وثلاثين ومائتين ليومين بقيا من ذى القعدة<sup>(١)</sup>.



---

(١) الكمال فى أسماء الرجال ج ٢ ص ٢٣٩. مخطوط بنار الكتب المصرية، تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٨، طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١٤٦.

## الإمام أبو بكر بن أبي شيبة

### نسبه ونشأته:

هو الإمام الحافظ عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ، أبو بكر العبسي المعروف بابن أبي شيبة من أهل الكوفة. ولد سنة ١٥٩ هـ تسع وخمسين ومائة من الهجرة، ونشأ نشأة علمية، شهد له العلماء بالعلم والفضل، قال ابن حبان: «ما رأيت أحفظ منه»، وقال نبطويه: «لما قدم أبو بكر بن أبي شيبة بغداد في أيام المتوكل حرزوا مجلسه بثلاثين ألفاً». وهذا يدل على أنه كان على قدم راسخة في العلم، كما يدل على محبة الناس له، وإقبالهم على مجالسه العلمية، ولا غرابة في ذلك فهو أحد الأئمة الأعلام، وصاحب التصانيف الكبار<sup>(١)</sup>.

### حياته العلمية:

قال أبو عبيد القاسم: «انتهى العلم إلى أربعة: فأبو بكر أسردهم له، وأحمد أفقهم فيه، ويحيى أجمعهم له، وعلى أعلمهم به». وقال أبو زرعة الرازي: «ما رأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة». بهذا يتبين لنا من شهادات الأئمة له أنه كان على قدم راسخة في العلم والحفظ والإتقان.

### شيوخه وتلاميذه:

روى عن أبي الأحوص وشريك وابن المبارك وهيثم وجريير بن عبد الحميد ووكيع وابن عطية، وابن مهدي والقطان، وابن عيينة، وأبي خالد الأحمر، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى ومحمد بن فضيل ويزيد بن هارون، وغيرهم. وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، وروى له النسائي بواسطة أحمد بن علي القاضي وأحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاكم وعبدالله بن أحمد بن حنبل وإبراهيم الحربي كثيراً<sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢، مرآة الجنان ج ٢ ص ١١٦.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢، الرسالة المستطرفة ص ٤٠، مقدمة تحفة الأحوذى ج ١ ص ٣٣٤.

ولقد كان أبو بكر بن أبي شيبة موضع ثقة العلماء، وقال أبو عبدالله محمد بن عمر بن العلاء الجرجاني: «سمعت يحيى بن معين وسألته عن سماع أبي بكر بن أبي شيبة من شريك فقال: أبو بكر عندنا صدوق، ولو أدعى السماع من أجل من شريك لكان مصدقاً فيه». وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «ربانيو الحديث أربعة، فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد ابن حنبل، وأحسنهم سياقة وأداءً له علي بن المديني وأحسنهم وضعاً لكتاب ابن أبي شيبة وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين».

وقال صالح بن محمد: «أعلم من أدركت بالحديث وعلمه علي بن المديني وأعلمهم بتصحيح المشايخ يحيى بن معين، وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر بن أبي شيبة». وقال عمر بن علي: «ما رأيت أحفظ للحديث من ابن أبي شيبة، قدم البصرة فاجتمع مع ابن المبارك وابن الشاذكوني فجرى ذكر الشيباني، فسرده أبو بكر أربعمئة حديث حفظاً للشيباني».

وهكذا تطالعنا أقوال الأئمة والحفاظ، وشهادات أهل الخبرة والتوثيق على أن أبا بكر ابن أبي شيبة كان أحد هؤلاء الأئمة الذين انتهى إليهم الحديث حفظاً وتدويناً وبلغ في فهمه مبلغاً عظيماً، ولما كان هؤلاء الأئمة مكانتهم العظيمة في النفوس، فإن العلماء قد درسوا معارفهم وبيّنوا تخصصاتهم وما يتميز به كل واحد منهم في الحفاظ وفي معرفة الرجال وفي علل الحديث، وهكذا.....

وتوفى رضى الله عنه سنة ٢٣٥هـ، قال محمد بن عبدالله الحضرمي: «مات عبدالله بن محمد بن أبي شيبة وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس لثمان مضت من المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين»<sup>(١)</sup>.

إنها إذاً لحياة حافلة بجهود مذكورة مشكورة في خدمة السنة النبوية تشهد لهذا الإمام الجليل بالتبحر والتضلع وبالإمامة والفضل.



(١) الكمال في أسماء الرجال ج٢ ص ١١٧ مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ بغداد ج١ ص ٦٩.

## مصنف الإمام أبي بكر بن أبي شيبة

يعتبر مصنف ابن أبي شيبة من أعظم الكتب المصنفة فى أحاديث الأحكام دون فيه الأحاديث النبوية بأسانيدھا، وهو من الآثار الهامة، ويقع فى ثمانية مجلدات وهى موجودة فى مكتبة محمد مراد البخارى المعروف بمراد ملا شنبه فى حى الفاتح فى استانبول تحت رقم ۵۹۴-۶۰۱، وتوجد نسخة من مصنف ابن أبي شيبة محفوظة فى مكتبة السلطان أحمد الثالث تحت رقم ۲۶۰ فى استانبول أيضا إلا أنها ينقصها المجلد الثامن، وفى الهند نسخ أخرى كما فى نوادر المخطوطات وتوجد بعض أجزاء منه محفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ۸۰۲ ويعتبره كثير من الباحثين أنه أجمع كتاب ألف فى أحاديث الأحكام.

### منهج أبي بكر بن أبي شيبة فى مصنفه:

منهج الإمام أبي بكر بن أبي شيبة فى تأليف مصنفه منهج التأليف على الأبواب فرتبہ على الأبواب الفقهية، ودون فى كل باب من أبوابه ما ورد فيه من الأحاديث، سواء كانت مرفوعة أم مرسله أم موقوفة، مع ضم أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ويذكر فى المسألة أقوال أهل العلم فيها مما يسهل على الباحث معرفة الحكم فى مسألة ما إن كانت اجتماعية أو أخلاقية.

وقد سار على منهج ابن أبي شيبة تلميذه بقى بن مخلد الأندلسى فى مصنفه، وعندما أدخل المصنف لابن أبي شيبة فى الأندلس ثار المالكية من أهل الأندلس لأنهم تعودوا ألا يصغوا لغير حديث «الموطأ» وأحاديث أهل المدينة.

اشتمل كتاب ابن أبي شيبه على باب خاص عقده للرد على الإمام أبي حنيفة فى خمس وعشرين ومائة مسألة بآثار يسردها فى كل باب ثم يذكر عقب كل باب العبارة الآتية: «وذكر أن أبا حنيفة قال كذا» وقد انتقد بعض العلماء ردود ابن أبي شيبة فى عدم ذكر المسند إلى أبي حنيفة عندما يعزو إليه بعض الآراء، قال الأستاذ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله فى ابن أبي شيبة إنه «لا يسند الرأى الذى يرويه إلى أبي حنيفة بسند يسوقه، ولو فعل هذا لكان أبرأ لذمته وأتم فائدة»<sup>(۱)</sup>.

(۱) النكت الطريفة لتحدث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة للأستاذ محمد زاهد الكوثرى ط مطبعة الأنوار

## شرطه فى المصنف:

لم يرد عن الإمام أبى بكر بن أبى شيبه تصريح شرطه فى مصنفه، ولكنه من الممكن استنتاج شرطه من سبر بعض أحاديث الكتاب، وما قيل فيه من آراء علمية ومنصفة. فإن الإمام أبى بكر بن أبى شيبه لم يشترط فى كتابه تخريج الصحيح فقط، وإنما أخرج الصحيح وغيره، فأخرج المرفوع، والمرسل، والمقطوع، والموقوف، وأقوال الصحابة والتابعين وقد وضعه «ولى الله الدهلوى» فى الطبقة الثالثة من طبقات كتب الحديث: حيث جعل الطبقة الأولى فى الموطأ والصحيحين.

وجعل الطبقة الثانية: منحصرة فى سنن أبى داود وجامع الترمذى ومجتبى النسائى وكذا مسند أحمد يكون من جملة هذه الطبقة.

وجعل الطبقة الثالثة: مسانيد وجوامع ومصنفات صنفت قبل البخارى ومسلم وفى زمانهما وبعدهما جمعت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والغريب والشاذ والمنكر والخطأ والصواب والثابت والمقلوب ولم تشتهر فى العلماء ذلك الاشتهار وإن زال عنها اسم النكارة المطلقة<sup>(١)</sup> وذكر أمثلة لذلك مثل مسند أبى يعلى ومصنف عبد الرزاق، ومصنف أبى بكر بن أبى شيبه.

ويتضح مما سبق أن الإمام أبى بكر بن أبى شيبه قد شارك فى طريقة تأليف مصنفه الإمام مالكا فى «الموطأ» حيث رتبه ترتيبا فقهيًا، وبوبه تبويبًا موضوعيًا ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين إلا أنه اختلف عن الموطأ فى درجة الأحاديث، لأن الموطأ أعلى منه فى درجة أحاديثه، كما أنه شارك أيضا الإمام أبى داود فى «سننه» حيث رتبه نفس الترتيب الفقهي وجمع أحاديث الأحكام إلا أن درجة سنن أبى داود أعلى درجة من مصنف ابن أبى شيبه، وقد جعله «الدهلوى» كما سبق ضمن الطبقة الثالثة.



(١) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٠٧.

## أمثلة من المصنف

وقد عقد ابن أبي شيبة - كما سبق وذكرنا - بابا بعنوان: (هذا ما خالف به أبو حنيفة الأثر الذي جاء عن رسول الله ﷺ) ومن أمثلة ما أورده:

١- قال: «حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن محمد بن النعمان عن أبيه أن أباه نحله غلاما، وأنه أتى النبي ﷺ ليشهده، فقال: «أكل ولدك نحلت مثل هذا؟» قال: لا. قال: فارده.

حدثنا عباد عن حصين عن الشعبي قال سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطاني أبي عطية فقالت أمي - عمرة بنت رواحة - لا أرضى حتى تشهد النبي ﷺ، قال: «فأتى النبي ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة عطية فأمرتني أن أشهدك. قال: أعطيت كل ولدك مثل هذا؟» قال: لا. قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

حدثنا ابن مسهر عن أبي حبان عن الشعبي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أشهد على جور»<sup>(١)</sup>. وذكر أن أبا حنيفة قال: لا بأس به» فالإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا الموضوع أورد الحديث، وذكر قول أبي حنيفة في المسألة وهو: «لا بأس به». وإذا نظرنا إلى رأى الجمهور في المسألة نرى أنهم يحملون الأمر بالتسوية على النذب، منهم مالك والليث والثوري والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه، وأجازوا أن يخص بعض بنيه دون بعض بالنحلة والعطية، والتسوية أحب إلى الجميع. ويرى البعض وجوب التسوية بينهم في العطية ومن هؤلاء ابن المبارك وأحمد والظاهرية وبعض المالكية، لظاهر بعض الألفاظ ولأن التسوية مقدمة الواجب لأن قطع الرحم والعقوق محرمان فما يؤدي إليهما يكون محرما، والتفصيل مما يؤدي إليهما.

وسبب اختلاف الفقهاء في حمل تلك الأحاديث على الوجوب أو على النذب هو اختلاف ألفاظها فقوله: في هذا (فارجعه) وقوله في الآخر: (أشهد على هذا غيري) وفي آخر (يسرك أن يكونوا في البر سواء؟) تدل على النذب، وهناك ألفاظ يؤذن بالواجب مثل: (لا أشهد على جور) إلا إذا حمل الجور على مجرد الميل لقرائن قائمة، قال القاضي عياض: والجمع بين أحاديث الباب أولى من طرح بعضها، ومن توهين الحديث بالاضطراب

(١) أخرج الحديث ابن أبي شيبة، والطبراني بلفظ "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".

فى ألفاطه ، ووجه الجمع . أن تحمل كلها على الندب<sup>(١)</sup> . وأرى أنه يجوز أن يخص بعض أبنائه بشىء ، بشرط أن يكون سائر الأولاد راضين وإن التسوية أفضل ، والأمر بها فى الحديث محمول على الندب ، وليس على الوجوب لجواز هبة المرء بعض مال للغريب ، ومما يؤيد ذلك عمل الخليفين أبى بكر وعمر بعد النبى ﷺ ، وبعدم التسوية ، أما أبو بكر فرواه الموطأ بإسناد صحيح عن عائشة أن أبا بكر قال لها فى مرض موته : إنى كنت نحللك نحلا فلو كنت اخترتية لكان لك ، وإنما هو اليوم للوارث ، وأما عمر فذكره الطحاوى وغيره أنه نحل ابنه عاصما دون سائر ولده ، وقد أجاب عروة عن قصة عائشة بأن إختوها كانوا راضين بذلك ويجاب بمثل ذلك عن قصة عمر<sup>(٢)</sup> .

٢- وقال فى مصنفة : حدثنا<sup>(٣)</sup> ابن عيينة الزهرى عن عبيد الله عن أم قيس بنت محصن قالت : دخلت بابن لى على النبى ﷺ لم يأكل الطعام فبال عليه ، فدعا بماء فرشه . حدثنا أبو الأحوص عن سمك عن قابوس بن المخارق عن لبابة بنت الحارث قال : بال الحسين بن على على النبى ﷺ ، فقلت : أعطنى ثوبك واليس غيره فقال «إن ينضح من بول الذكر ، ويغسل من بول الأنثى» .

حدثنا وكيع عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبى ﷺ أتى بصبى فبال عليه ، فأتبعه الماء ولم يغسله .

حدثنا وكيع عن ابن أبى ليلى عن جده أبى ليلى قال : كنا عند النبى ﷺ جلوسا فجاء الحسين بن على يحبو جلس على صدره ، فبال فابتدرنا لنأخذه ، فقال النبى ﷺ : «ابنى ابنى ثم دعا بماء فصبه عليه . وذكر أن أبا حنيفة قال بغسله» . فنرى أن الإمام أبا بكر بن أبى شيبه هنا قد أشار إلى رأى أبى حنيفة فى المسألة وهو الغسل بعد أن أورد من الأحاديث ما يدل على الفرق بين بول الأنثى حيث لا يكتفى بالنضح

(١) النكت الطريفة ص ٢٢ للأستاذ محمد زاهد الكوثرى .

(٢) فتح البارى ج ٥ ص ١٣٢ .

(٣) ومن أخرجه غير ابن أبى شيبه "البخارى" بنحوه ، من حديث أم قيس بنت حصن فتح البارى ج ١ ص ٢٨١ وأخرجه مالك فى الموطأ ص ٤١ ، والترمذى ج ١ ص ١٠٥ تحقيق أحمد شاكر ، والإمام أحمد فى المسند ج ٦ ص ٣٥٥ ، وابن سعد فى الطبقات ج ٥ ص ١٧٦ من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى ، وفيه فنضح عليه ولم يغسله ، ورؤا مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والطيالسى . ورواه الحاكم وصححه عن أم الفضل بنت الحارث والبيهقى فى الشعب بنحوه وأقره المنذرى والنهيبى وقال ابن حجر حديث حسن .

بل لابد من الغسل ، وبين بول الذكر حيث يكتفى بالنضح .  
وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة على ثلاثة مذاهب ، هى أوجه للشافعية :  
الأول : وهو أصح المذاهب الاكتفاء بالنضح فى بول الصبى لا الجارية ، وهو قول على  
وعطاء والحسن والزهرى وأحمد وإسحق وابن وهب وغيرهم .  
الثانى : أن يكتفى بالنضح فى بول كل من الصبى والجارية ، وهو مذهب الأوزاعى ،  
وحكى عن مالك والشافعى .

الثالث : أن بول كل من الصبى والجارية سواء فى وجوب الغسل وبهذا رأى قال  
الخنفية والمالكية وقد ذكر العلامة ابن القيم وجه التفرقة بين بول الصبى والصبية ، فقال :  
«والفرق بين الصبى والصبية من ثلاثة أوجه : أحدها : كثرة حمل الرجال والنساء للذكر فتعم  
البلوى ببوله فيشق غسله . والثانى : أن بوله لا ينزل فى مكان واحد بل ينزل متفرقا ههنا  
وههنا فيشق غسل كل ما أصابه كله بخلاف بول الأنثى والثالث : أن بول الأنثى أخبث  
وأنتن من بول الذكر وسببه حرارة الذكر ورطوبة الأنثى فالحرارة تخفف من نتن البول  
وتذيب منها ما لا يحصل مع الرطوبة<sup>(١)</sup>» «أ. هـ» .

وإذا نظرنا إلى ما ذكره ابن القيم من التفرقة بين بول الصبى والصبية ، نجد أنه ذكر  
الأمر السابقة كأسباب من أجلها اكتفى بالنضح من بول الذكر ، والغسل من بول الأنثى  
وقبل مناقشة كلام ابن القيم فى ذلك ، والإدلاء برأينا فى المسألة ، لابد من ذكر شرط هام  
فى ذلك وهو ألا يطعم الصبى الطعام . ففى الحديث أن أم قيس بنت محسن أتت بآبن لها  
صغير لم يأكل الطعام كما رواه البخارى ، وكما روى ابن أبى شيببة أنها قالت : «دخلت بآبن  
لى على النبى ﷺ لم يأكل الطعام» والمراد بالطعام هو ما عدا اللبن الذى يرتضعه ، والتمر  
الذى يحنك به ، وما يتعاطاه للمداواة بحيث لم يحصل له الغذاء بغير اللبن .

ولنعد إلى مناقشة كلام ابن القيم : أما ما ذكره أولا من كثرة حمل الرجال والنساء  
للذكر حملهم للذكر عاما عند الجميع . فالنفوس مختلفة الطبائع ، متباينة الأمزجة ، وميول  
الناس ليست متفقة فى ذلك وقد يحب البعض الأنثى أكثر من الذكر ، ولو كانت هذه  
العلة لاقتضى الأمر ألا يجب غسل ثياب النساء من بول الصبى لكون الابتلاء بذلك أشد  
فى حقهن لاختصاصهن بالحمل للأولاد . وأما ما ذكره من أن بول الأنثى أخبث من بول

(١) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٣١ .

الذكر فقد صدق هذا الطب نظرا لاشتغال بول الأنثى على بعض الإفرازات<sup>(١)</sup> وأما كرهه من أن بول الصبي لا ينزل في مكان واحد، بل ينزل متفرقا ههنا و ههنا؛ فشق غسل ما أصابه كله بخلاف بول الأنثى، فهذا السبب لا تختلف فيه ظروف الصبي في كل مرة لتكوينه الخلقى، وأيضا فقد أخرج الطحاوي عن ابن المسيب: «الرش من الرش والصب من الصب» يريد أن مخرج بول الصبي ضيق فيكون بوله رشا يكتفى فيه بالرش على موضع الإصابة<sup>(٢)</sup>، ومن الصبية واسع فيكون بولها حبا فيصب فيه الماء على موضع الإصابة، وعلى ذلك أرى ترجيح هذين السببين الآخرين وهما بث بول الانثى ونزول بول الصبي رشا متفرقا، والله تعالى يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر. وأما بالنسبة لمذاهب العلماء التي ذكرت وملخصها:

١- النضح في بول الذكر والأنثى.

٢- الغسل منهما.

٣- نضح بول الذكر وغسل بول الأنثى.

فإننا نرجع المذهب القائل بالنضح في بول الصبي والغسل من بول الصبية لورود الأحاديث الصريحة الصحيحة في ذلك، ففي حديث البخاري: «فنضحه ولم يغسله» وفي حديث مالك: «فنضح عليه ولم يغسله» وهذا يرد قول من ذهب إلى وجوب الغسل فيها وفي الموطأ قال محمد: قد جاءت رخصة في بول الغلام إذا كان لم يأكل الطعام وأمر بغسل بول الجارية وغسلهما جميعا أحب إلينا وهو قول أبي حنيفة وحديث لبيبة بنت الحرث عند أحمد وأبي داود وابن ماجه مرفوعا: «إنما ينضح من بول الذكر ويغسل من بول الأنثى» وحديث أبي السمح عند أبي داود والنسائي وابن ماجه مرفوعا بغسل من بول الجارية وورش من بول الغلام وهذا يرد فيكون من ذهب إلى الاكتفاء بالنضح فيها، ولا مجال بعد هذا إلى حمل البعض النضح والرش على الغسل، أو حملهم «لم يغسله» على الغسل المبالغ فيه، خاصة بعد وضوح الأحاديث السابقة.



(١) لأن بول الأنثى عند خروجه يكون مختلطا ببعض إفرازات المهبل الملاصق لقناة مجرى البول. من الناحية الخلقية.

(٢) تبين الحقائق شرح كنوز الدقائق للزبيعي ج ١ ص ٦٩، النكت الطريفة للكوثري ص ٤٨.

## إسحق بن راهويه

### نسبه ونشأته:

هو أبو يعقوب إسحق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر ابن عبيدالله بن غالب بن عبد الوارث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك ينسب إليه بطن من تميم، والمرزى نسبة إلى مرو وزيدت الزاى فى النسب للفرق بينه وبين المروى. ولقب أبوه براهويه، لأنه ولد فى طريق مكة، والطريق بالفارسية (راه وويه) ومعناه وجد فكأنه وجد فى الطريق، قال أحمد بن سلمة: سمعت إسحق بن إبراهيم يقول: قال لى عبدالله بن طاهر: لم قيل لك ابن راهويه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال لك هذا؟ قال: اعلم أيها الأمير أن أبى ولد فى طريق فقال المرازة: راهوى، لأنه ولد فى الطريق وكان أبى يكره هذا وأما أنا فليست أكرهه. وهذا يؤيد السبب فى إطلاق هذا اللقب عليه، وهو ولادته فى الطريق.

وقد ذكر ابن خلكان فى تاريخ مولده ثلاثة آراء: الأول: سنة إحدى وستين ومائة، والثانى: سنة ثلاث وستين ومائة، والثالث: سنة ست وستين ومائة.

وأرجح أنه ولد سنة إحدى وستين مائة، ومما يؤكد ذلك، ما قاله أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد وهو أنه مات ليلة الخميس سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وهذا يرجح أن مولده كان فى سنة إحدى وستين ومائة، وقد ولد إسحق بن راهويه مثقوب الأذنين<sup>(١)</sup> فمضى به أبوه إلى الفضل بن موسى فسأله عن ذلك فقال: «يكون ابنك رأساً إما فى الخير وإما فى الشر» وقد شاء الله لإسحق أن يكون رأساً فى الخير، فأصبح أحد أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين فكان عالماً عاملاً، جمع بين الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد.

وقد عرف أصحاب الحديث فى زمنه مكانته وفضله، بل عرف له ذلك الأمراء، وكانوا يعتقدون فيه اعتقاداً حسناً، لما كان معروفًا به من الصلاح وصيانة العلم، ويدلنا على ذلك

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٨٠ الرسالة المستطرفة ص ٦٥، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٢١ وتاريخ بغداد ج ٦ ص

٣٤٥، طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٨٥.

ما رواه ابن عدى قال: ركب إسحق بن راهويه دين، فخرج من مرو، وجاء نيسابور، فكلم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحق، فقال: ما تريدون؟ قالوا: تكتب إلى عبدالله أمير خراسان، وكان بنيسابور، فقال يحيى: ما كتبت إليه قط، فألحوا عليه فكتب فى رقعة إلى عبدالله بن طاهر: أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح. فحمل إسحق الرقعة إلى عبدالله بن طاهر، فلما جاء إلى الباب، فقال للحاجب: معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير، فقال: يحيى بن يحيى؟ قال: نعم، وقال: أدخله فدخل إسحق وناوله الرقعة فاخذها عبدالله وقلبها، وأقعد إسحق بجانبه، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم، وصيره من ندمائه.

ويقول ابن السبكي معلقا على ذلك: «انظر ما كان أعظم أهل العلم عند الأمراء، وانظر ما أدنى هذه الكلمة وأقصر هذه الرقعة، وما ترتب عليها من الخير، وما ذلك إلا لحسن اعتقاد ذلك الأمير وصيانة أهل العلم».

وقال محمد بن عبد الوهاب: «كنت مع يحيى بن يحيى وإسحق نعود مريضا، فلما جاذبنا الباب تأخر إسحق، وقال ليحيى: تقدم، فقال يحيى لإسحق: بل أنت تقدم، فقال يا أبا زكريا أنت أكبر منى قال: نعم، أنا أكبر منك، ولكنك أعلم منى، قال: فتقدم إسحق»<sup>(١)</sup>.

وفى هذه الرواية ما يدل على ما كان عليه إسحق من منزلة عظيمة فى نفس يحيى بن يحيى وغيره كما يدل على التقدير والإجلال للعلماء، وأن مقياس التقدم والأفضلية إنما هو العلم لاسيما العلم المصحوب بالعمل.

### حياته العلمية:

وقد عاش ابن راهويه حياته العلمية جامعا بين الفقه والحديث والورع والتقوى، وكان يسمع قبل رحلته فى طلب العلم من ابن المبارك ومن الفضل الشيباني، والنضر بن شميل، وأبى نميلة يحيى بن واضح وعمر بن هارون. وابتدأ رحلته العلمية سنة أربع وثمانين ومائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة فرحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن<sup>(٢)</sup> وقد ورد بغداد غير مرة وجالس حفاظ أهلها، وذاكرهم وعاد إلى خراسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفى بها وانتشر علمه عند الخراسانيين.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٨٤، ٨٥، ٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٤٥، وفيات الأعيان ج ١ ص ٨٠، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٨٤.

## شيوخه وتلاميذه:

وقد سمع من جرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، وعبد العزيز الدراوردى وفضيل ابن عياض ومعتمر بن سليمان وإسماعيل بن عليّة، وبقية بن الوليد وحفص بن غياث وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الوهاب الثقفي، والوليد بن مسلم، وعبد العزيز بن عبد الصمد، وأسباط بن محمد وحاتم بن إسماعيل، وعتاب بن بشير الجزري وعبد الرزاق بن همام، وأبى بكر بن عياش وغيرهم.

وروى عنه: البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ويحيى بن نصر المروزى، وأحمد بن سلمة، وابنه محمد بن إسحق بن راهويه وخلق سواهم، آخرهم أبو العباس السراج، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم وبقية بن الوليد<sup>(١)</sup> وهذا يدل على تضلعه فى العلم ورسوخ قدمه ويشهد له بمكانته العلمية فى نفوس شيوخه وتلاميذه.

## حفظه وإتقانه:

وكان ابن راهويه يحفظ سبعين ألف حديث، ويذاكر ألف حديث، وقال: ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً فنسيته وهذا يدل على عقلية لامحة، وذاكرة حافظة واعية. وقد بلغ ابن راهويه فى الحفظ والإتقان درجة عالية، وكان مجموع الأحاديث التى استوعبها فى الكتب يعرف مكانها كأنه ينظر إليها، وما يحفظه منها يحفظه عن ظهر قلبه، بل إنه حفظ أربعة آلاف حديث مزورة، ليستطيع التمييز بينها وبين الصحيح، وقد وردت أقوال وآراء للعلماء توضح مدى حفظه وإتقانه، وتشهد له بالثقة والصدق والعلم والإمامة.

قال الدارمى: «ساد إسحق أهل المشرق والمغرب بصدقه» فهذه شهادة من الدارمى بصدق إسحق، وسيادته أهل المشرق والمغرب بسبب صدقه. وقال مرة وقد سئل عن إسحق: مثل إسحق تسأل عنه؟ إسحق عندنا إمام<sup>(٢)</sup>.

وهذه شهادة أخرى بإمامته، وأنه بلغ درجة لا يسأل عنه فيها: وقال أبو يزيد محمد ابن يحيى بن خالد: سمعت إسحق بن إبراهيم الحنظلى يقول: «أعرف مكان مائة ألف

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٨٤، تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٤٥

(٢) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٢٢، طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٦٨.

حديث كأنى أنظر إليها، وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة، فقليل له: ما معنى حفظ المزورة؟ قال: إذا مر بي حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فلياً<sup>(١)</sup> وقال أحمد بن سلمة: سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الرازي يقول: «ذكرت لأبي زرعة إسحق بن إبراهيم الحنظلي وحفظه للأسانيد والمتون، فقال أبو زرعة: ما روى أحفظ من إسحق قال أبو حاتم: «والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ» وقال أبو داود الخفاف: «أملى علينا إسحق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً»<sup>(٢)</sup>.

فأية مكانة تلك التي كان عليها إسحق بن راهويه؟ هذا الإمام الحافظ الثقة الصدوق الذي عرف فضله القاصي والداني، وشهد له كبار الأمة، وروى عنه بعض شيوخه. إنها إذًا مكانة جلييلة، وهبة من الله تعالى عظيمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

### بين الشافعي وإسحق:

ذكر الدار قطنى إسحق فيمن روى عن الشافعي رضى الله عنه، وعده البيهقي في أصحاب الشافعي، وكان إسحق بن راهويه قد ناظر الشافعي في مسألة كراء بيوت أهل مكة كما ناظره في جلود الميتة إذا دبغت، وقد رجع إسحق إلى حكم الشافعي بعد نهاية المناظرة وأفتى به وهو أن دباغها طهورها<sup>(٣)</sup>.

وقد لازم ابن راهويه الشافعي وأعجب به واتبع مذهبه. وهذا الموقف يرينا أريحية نفسه وحبه للعلم ورجوعه إلى الحق. وهذا شأن المخلصين والباحثين عن الحقيقة.

### ابن قتيبة وإسحق:

وقد تأثر ابن قتيبة بأستاذه إسحق بن راهويه فى عنايته بالحديث واشتغاله به، كما تأثر به فى تفسير القرآن الكريم. وكان ابن قتيبة يلتقى بإسحق فى نيسابور وبغداد وأخذ عنه علوم الدين، وكما تأثر به فى الورع والسلوك الحميد، فقد بث فيه من أخلاقه وسجاياه الطيبة الكثيرة، ونلاحظ توافق ابن قتيبة وإسحق، وتقارب الاتجاهين فى الدفاع

(١) تاريخ بغداد ج٦ ص ٣٥٢.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٤٣٤، تاريخ بغداد ص ٣٥٣، ص ٣٥٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١٩ وما بعدها.

عن الحديث حيث إن إسحق قدم للحديث مجهوداً ضخماً فقام بتنقيته من الدخيل عليه ،  
وتجريده من مسائل الفقه والتفسير .

### البخارى وإسحق:

وممن تأثر بإسحق تأثراً كبيراً الإمام البخارى الذى استفاد من المجهودات الضخمة  
التي قام بها إسحق من النظر فى الأحاديث ونقدها متناً وإسناداً وتصحيحها ، وترتيب  
أنواع الحديث ، فمهد بهذا العمل الطريق للبخارى الذى سار على نهجه فى التأليف  
والنقد ، وألف البخارى كتابه الجليل «الجامع الصحيح» بمشورة أستاذه ابن راهويه ، قال  
أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى : «كنا عند إسحق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتاباً  
مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال : «فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع  
الصحيح» .

وبهذا يتضح<sup>(١)</sup> ما كان للبخارى من منزلة عند أستاذه الذى كان يعرف فيه مقدرته على  
هذا العمل العظيم ، ويأنس فيه الكفاءة الممتازة .

ويلاحظ أن البخارى وإسحق تشابها فى المنهج العلمى الذى سار عليه كل منهما فى  
الدفاع عن الحديث وتصفية السند والمتن واستنباط الأحكام الفقهية دون الإكثار من الرأى فيه .  
إسحاق وأهل الرأى:

وكان إسحق يذكر أصحاب الرأى ، ويظهر بغضه لهم لشذوذ أقاويلهم وكان يقول :  
نبذوا كتاب الله تعالى ، وسنن رسوله ﷺ ، ولزموا القياس . وكان يرى أن أهل الرأى يؤولون  
الأحاديث تأويلاً لا يقره العقل ، على أتباع مذهب الإمام أبى حنيفة ، ممن جاء بعدد من أهل  
النظر والقياس بأنهم الذين يحملون أوزار ما أوجدوه ، ولا شك أن الإمام أبى حنيفة برىء  
من ذلك ، وكان ابن قتيبة يطلق على هؤلاء الأتباع اسم العصابة<sup>(٢)</sup> .

### ومن مصنفات ابن راهويه :

كتاب المسند «ويوجد الجزء الرابع منه فى دار الكتب المصرية» مخطوط ، تحت رقم  
٤٥٤ حديث) وأصل الكتاب ستة مجلدات ، ومن رواته : أبو محمد عبدالله بن محمد

(١) هدى السارى لابن حجر ص ٥ .

(٢) البخارى محدثاً وفقهياً للدكتور الحسينى هاشم ص ٤٩ .

النيسابورى. وهو مرتب على أسماء الصحابة، وقد ذكر أبو زرعة الرازى: أنه يخرج فيه أمثل ما ورد من أحاديث الصحابة «والأمثل ليس بلازم أن يكون صحيحا بل إنه يكون أفضل مما تركه، ولهذا وقع فيه الضعيف كما وقع فى غيره»<sup>(١)</sup>.



---

(١) ألفية السيوطى لتعليقات الأستاذ محمد محبى الدين عبد الحميد.

## أبو زرعة الرازي

### نسبه ونشأته:

هو الحافظ عبدالله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم الرازي، منسوب إلى الري بزيادة الزاي، مدينة مشهورة من أمهات البلاد. وولد أبو زرعة سنة مائتين بالري<sup>(١)</sup>. وقد نشأ أبو زرعة محبا للعلم، ومعروفا بالحفظ والورع، شهد له الكثيرون بالتفوق على أقرانه، وكان في شبابه إذا اجتمع بأحمد بن حنبل اقتصر على الصلوات المكتوبات، ولا يفعل المندوبات اكتفاء بمذاكرته، وهذا من أكبر الشواهد على إتقانه وحفظه وضبطه. وكان معروفا منذ صغره بعقلية علمية نادرة، وذكاء منقطع النظير، روى في معرفة علوم الحديث لما انصرف قتيبة بن سعيد إلى الري سأله أن يحدثهم فامتنع وقال: أحدثكم بعد أن أحضر مجلس أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعلى بن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو خيثمة، فقالوا له: إن عندنا غلاما يسرد كل ما حدثت به مجلسا مجلسا. قم يا أبا زرعة، فسرد كل ما حدث به قتيبة فحدثهم به. وعده الحاكم من فقهاء الحديث، وكان متواضعا ورعا شهد له العلماء بكثرة التواضع، قال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أكثر تواضعا من أبي زرعة» كما كان معروفا بزهده، قال فيه أبو حاتم «ما خلف أبو زرعة بعده مثله، ولا أعلم من كان يفهم هذا الشأن مثله وقل من رأيت في زهده»<sup>(٢)</sup>. وهكذا يشهد له العلماء والأئمة بالنشأة المثالية الراشدة، التي اتسم فيها بالدرجة العالية في الحفظ والإتقان، والزهد والتواضع.

### حياته العلمية:

كان أبو زرعة أحد الأئمة الأعلام، شهد له العلماء بالصدق والحفظ والضبط. قيل: كان يحفظ سبعمائة ألف حديث، وقد رحل أبو زرعة وسمع من أبي نعيم والقعبنى وطبقتهما، وقال إسحق بن راهويه: «كل حديث لا يحفظه أبو زرعة ليس له أصل» وهذا القول على ما فيه من المبالغة يعطينا صورة عظيمة على ما كان عليه أبو زرعة من درجة عظيمة في الحفظ.

(١) الرسالة المستطرفة ص ٦٤، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٨.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٥، تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٥٧.

## شيوخه وتلاميذه:

سمع أبو زرعة من شيوخ كثيرين، منهم أبو نعيم وقبيصة بن عقبة وخلاد بن يحيى، ومسلم بن إبراهيم، والقعنبي وأبو ثابت المدنى وغيرهم. ورحل إلى العراق والشام والجزيرة وخراسان ومصر، وكان من الحفاظ المتقنين والمخلصين الزاهدين.

## وروى عنه:

مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وإسحق بن موسى الأنصارى وحرمل بن يحيى والربيع بن سليمان ومحمد بن سعيد الرازى وعمرو بن على ويونس بن عبد الأعلى وهم من شيوخه. وأبو حاتم وأبو زرعة الدمشقى وإبراهيم الحربى وهم من أقرانه. وسعيد بن عمرو الأوزاعى وصالح بن محمد جزرة وعبدالله بن أحمد وعبد الرحمن بن أبى حاتم وابن أخيه أبو القاسم بن محمد بن عبد الكريم وأبو عوانة الإسفرايينى وغيرهم<sup>(١)</sup>.

## حفظه وإتقانه:

ولمكانة أبى زرعة الجليلة فى العلم كان الإمام أحمد بن حنبل يحرص على مذاكرته أكثر من نوافله، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل نزل أبو زرعة عندنا، فقال لى أبى: يا بنى قد اعتضت عن نوافلى بمذاكرة هذا الشيخ<sup>(٢)</sup>. ومعنى ذلك أنه كان يغتتم مجالس أبى زرعة لكثرة علمه وثقته فيه، وهو يعلم أن ثواب مجالس العلم أكثر من النوافل، وليس معنى هذا تهاون ابن حنبل فى شأن النوافل فإن ذلك كان فى بعض الأوقات الخاصة التى يحظى فيها بمجالسة الإمام أبى زرعة أما حرص ابن حنبل على النوافل والسنن فكثير كما سبق الحديث عنه فى ترجمته. وقد عرف أبو زرعة بحفظه الشديد وما سمع شيئاً إلا وعاه، قال أبو جعفر التستري: سمعت أبا زرعة يقول: «ما سمعت أدنى شىء من العلم إلا وعاه قلبى، إن كنت لأمشى فى سوق بغداد فأسمع من العزف صوت المغنيات فأضع أصبعى فى أذنى مخافة أن يعيه قلبى» وحسبه دلالة على كثرة حفظه ما رواه صالح جزرة، قال: سمعت أبا زرعة يقول: «أحفظ فى القراءات عشرة آلاف حديث» وإذا كان حفظه لأحاديث القراءات فقط هو هذا العدد الكبير، فما بالنأ بجملته ما حفظه من الأحاديث، قال محمد بن جعفر

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣١، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٧٦.

(٢) مقدمة تحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٦٦.

ابن حمكويه قال أبو زرعة: «أحفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد». وعاش أبو زرعة حياته العلمية حافظا ثقة صدوقا وهو أحد الأئمة المشهورين الرحالين لطلب الحديث قدم بغداد وحدث بها غير مرة، وجالس الإمام أحمد بن حنبل وكان يحبه ويثني عليه وله من المؤلفات: (كتاب المسند) وتوفى سنة أربع وستين ومائتين<sup>(١)</sup>.



---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣٢، مقدمة تحفة الأحوزي ج ١ ص ٤٦٧، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٦٤، الرسالة المستطرفة ص ٦٤.

## أبو حاتم الرازي

### نسبه ونشأته:

هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران بن حاتم الحنظلي الرازي أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين أبي زرعة. ولد سنة خمس وتسعين ومائة ونشأ على نور العلم والمعرفة فسمع الكثير وطاف الأقطار وروى عن كثير من الأئمة الكبار. جاء عنه أنه قال لابنه عبد الرحمن: يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ<sup>(١)</sup>.

وأبو حاتم من قرية جزء بأصبهان وكان محبا للعلم من صغره فأنفق جميع ما يملك في سبيله وتحمل كثيرا من المشاق حتى حصل على طلبته، قال عبدالله بن محمد بن يعقوب: سمعت أبا حاتم يقول: نحن من أهل أصبهان من قرية جزء وكان أهلنا يقدمون علينا في حياة أبي ثم انقطعوا عنا وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: (سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ثم تركت العد بعد ذلك)<sup>(٢)</sup>.

وقال: سمعت أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثيابي شيئا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال فجعلت أشرب الماء من الجوع ثم أصبحت من الغد وغدا لي رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد فانصرف عني وانصرفت جائعا فلما كان الغدمد على فقال: مر بنا على المشائخ فقلت أنا ضعيف لا يمكنني، قال: وما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمرى قد مضى يومان ما طعمت فيهما. فقال لي رفيقي: معي دينار فأنا أواسيك بنصفه وتجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة فأخذت منه النصف دينار. كما عرف أبو حاتم بالعلم والورع وعرف الجميع فضله وتقواه وزهده في الدنيا،

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٢٠٧ تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٥٩ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ٧ ص ٢٠٨.

فلم يكن لها من سلطان عليه ، ولا سبيل إلى نفسه ، يقول محمد بن هارون الرازي :  
أنشدنا أبو حاتم الرازي :

تفكرت في الدنيا فأبصرت رشدها      وذللت بالتقوى من الله خدها  
أسأت بها ظنا فأخلفت وعدها      وأصبحت مولها وقد كنت عبدها<sup>(١)</sup>

### حياته العلمية:

وقد أجمع العلماء على علو شأنه في الحديث وعلوه ، وعده الحاكم من فقهاء الحديث ، وكان بارع الحفظ واسع الرحلة من أوعية العلم ، جاريا في مضممار البخاري وأبي زرعة رحمة الله عليهم .

وكان عارفا بعلل الحديث والجرح والتعديل ، ومن الأئمة الرحالين ، رحل إلى خراسان العراق والحجاز واليمن والشام ومصر<sup>(٢)</sup> .

### شيوخه وتلاميذه:

ومن شيوخ أبي حاتم الذين روى عنهم محمد بن عبدالله الأنصاري ، وأبو زيد النحوي وعثمان بن الهيثم المؤذن وهوذة بن خليفة وعبدالله موسى وعقاب بن زياد وأبو مسهر الدمشقي وأبو الجماهير محمد بن عثمان التنوخي وسعيد بن أبي مريم المصري وأبو اليمان الحمصي ، وأمثالهم ، وكان أول كتبة الحديث سنة تسع ومائتين .

وروى عنه : يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المصريان وهما أكبر منه سنا وأقدم سماعا ، وأبو زرعة الرازي والدمشقي ، ومحمد بن عوف الحمصي ، وقدم بغداد وحدث بها وروى عنه من أهلها أحمد منصور الرمادي ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي ، وقاسم بن زكريا المطرز ، وعبدالله بن محمد بن ناجية ، وأحمد بن إسحاق بن صالح ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، والقاضي المحاملي ومحمد بن مخلد الدروري والحسين بن يحيى بن عياش القطان وغيرهم .

وكانت حياة أبي حاتم العملية مكتملة التحصيل ممتلئة ، وحصل كل ما كان موجودا لديه يمكن الحصول عليه حتى بلغت ثقته بكثرة ما جمعه أن قال يوما : من أغرب على حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله على درهم يتصدق به... ثم يفسر مقصد مقالته

(١) تاريخ بغداد ج٢ ص ٧٤ ، طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٢١٠ .

(٢) مرآة الجنان ج٢ ص ١٩٢ ، النجوم الزاهرة ج٣ ص ٧٧ .

فيقول: ومرادى أن يلقي على ما لم أسمع به ليقولوا هو عند فلان فأذهب فأسمع، وكان مرادى كذلك أن استخرج منهم ما ليس عندي، فما تهيأ لأحد منهم أن يغرب على حديثا، ويمكن أن نستنتج من هذا الخبر أن أبا حاتم قد حصل وحفظ كل حديث مسند صحيح في زمنه وأنه لم يكن موجودا بينهم من أحاط بشيء أكثر منه، وقال أحمد بن سلمة: وما رأيت بعد إسحق بن راهويه ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث، ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم محمد بن إدريس وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان ودعا لهما، وقال، بقاؤهما صلاح للمسلمين، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت موسى بن إسحق يقول: ما رأيت أحفظ من أبيك، وقال عبد الرحمن بن شعيب النسائي: محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي ثقة: وقال هبة الله بن الحسن الطبري: كان أبو حاتم الرازي إماما عالما بالحديث حافظا له متقنا متثبتا.

وهذه الشهادات والآراء تنبئ عن مكانته العلمية، ومدى فضله ومنزلته التي كان عليها في الثقة والحفظ والإتقان، وسعة إحاطته بمعرفة الحديث وتمكنه ورسوخ قدمه. وقد رسم أبو حاتم منهجه في الاشتغال بالعلم تدوينا وحفظا ومذاكرة، قال ابن أبي حاتم الرازي: سمعت أبي يقول: «اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وذاكر بأحسن ما تحفظ» وفي هذه العبارة الموجزة وضع أبو حاتم كيفية تدوين العلم وهي أن يتحرى كتابة أصح ما يسمع، وحفظ أحسن ما يكتب وأن يذاكر ويدرس للناس بأحسن ما يحفظ وذلك ليكون أكد في التثبيت وأجدى في المعرفة وقد ذكر كتاب التراجم أن لأبي حاتم كتاب «طبقات التابعين».

وأبو حاتم من أقران البخاري ومسلم، وتوفي بالري سنة خمس أو سبع وسبعين ومائتين قال أبو نعيم: سمعت أبا محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان يقول: سمعت أحمد ابن محمود بن صبيح يقول: سنة سبع وسبعين ومائتين فيها مات أبو حاتم الرازي بالري، وقيل في شهر شعبان من السنة السابقة<sup>(١)</sup>.

### مهارة أبي حاتم في معرفة صحيح الحديث وسقيمه

كان الإمام أبو حاتم الرازي ماهرا في معرفة الصحيح والسقيم من الحديث، وقد رزقه الله تعالى موهبة نادرة، وعلما وافرا. فكان شديد الملاحظة، وقوى الذاكرة سريع المعرفة والتمييز لصحيح الأخبار من سقيمها.

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٧٦، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٢.

جاءه أحد أصحاب الرأى ومعه بعض الأحاديث التى دونها فى دفتره، فلما عرضها على أبى حاتم قال فى بعضها: هذا حديث خطأ قد دخل لصاحبه حديث فى حديث وقال فى غيره: هذا حديث باطل وقال فى آخر: هذا حديث منكر وقال فى بعض آخر: هذا حديث كذب وسائر ذلك أحاديث صحاح، فقال له الرجال: من أين علمت أن هذا خطأ وأن هذا باطل وأن هذا كذب؟ أخبرك راوى هذا الكتاب بأنى غلظت وأنى كذبت فى حديث كذا؟ فقال: لا، ما أدرى هذا الجزء من رواية من هو؟ غير أنى أعلم أن هذا الحديث خطأ، وأن هذا الحديث باطل وأن هذا الحديث كذب فقال: تدعى الغيب؟ فأجابه أبو حاتم قائلاً: ما هذا ادعاء الغيب. ثم وجهه أبو حاتم إلى من يحسن معرفة هذا الفن، وهو الإمام أبو زرعة، ليثبت الرجل من حكم أبى حاتم، ويضم إلى علم أبى زرعة كذلك، فأخذ الرجل الأحاديث وتوجه إلى الإمام أبى زرعة ولما عاد إلى أبى حاتم وقد كتب ما تكلم به أبو زرعة فى تلحم الأحاديث رأى أن ما قال فيه أبو حاتم: أنه باطل. قال فيه أبو زرعة: هو كذب، وما قال فيه أبو حاتم: أنه كذب قال فيه أبو زرعة: هو باطل، قال أبو حاتم: «الكذب والباطل واحد» ووجد ما قال فيه أبو حاتم منكر قال: هو منكر، وما قال أنه صحاح قال أبو زرعة صحاح.

فقال الرجل: ما أعجب هذا! تتفقان من غير مواطاة فيما بينكما. فقال أبو حاتم: إنا لم نجازف وإنما قلناه بعلم ومعرفة قد أوتيناها، والدليل على صحة ما نقوله بأن ديناراً بهرجا يحمل إلى الناقد فيقول هذا دينار بهرج، ويقول للدينار: هو جيد، فإن قيل له: من أين قلت أن هذا بهرج هل كنت حاضراً حين بهرج هذا الدينار؟ قال: لا، فإن قيل له: فأخبرك الرجل الذى بهرجه أنى بهرجت هذا الدينار؟ قال: لا، قيل: فمن أين قلت أن هذا بهرج؟ قال: علما رزقت، وكذلك نحن رزقنا بمعرفة ذلك. ثم قال أبو حاتم: فتحمل فص يا قوت إلى واحد من البصراء من الجوهريين فيقول: هذا زجاج، ويقول لمثله: هذا يا قوت، فإن قيل له من أين علمت أن هذا زجاج وأن هذا يا قوت؟ هل حضرت الموضع الذى صنع فيه هذا الزجاج، قال لا، قيل له: فهل أعلمك الذى صاغه بأنه صاغ هذا زجاجاً؟ قال: لا، قال: فمن أين علمت؟ قال: هذا علم رزقت وكذلك نحن رزقنا علماً لا يتهمياً لنا أن نخبرك كيف علمنا بأن هذا الحديث كذب وهذا حديث منكر إلا بما نعرفه<sup>(١)</sup>.

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٣٥٠، ٣٥١.

وهكذا ترى أن الإمام أبا حاتم الرازي كان على جانب عظيم من العلم الذي ألهمه الله تعالى إياه، وتضلع فيه، بحيث أصبح تمييز الصحيح من السقيم لديه أمرا يدركه لأول وهلة، فهو يرى للحديث الصحيح ضوءاً كضوء النهار، يعرفه به، ويرى للحديث السقيم ظلمة كظلمة الليل ينكره بها، وينفر قلبه منه.

وكما قال البلقيني: «وشاهد هذا أن إنسانا لو خدم إنسانا سنين وعرف ما يجب وما يكره فادعى إنسان أنه كان يكره شيئا يعلم ذلك أنه يحبه، فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه»<sup>(١)</sup>. فمعرفة أبي حاتم الصحيح من السقيم معرفة الناقد الخبير، له في ذلك علم واسع وملكة قوية، ومقاييس سليمة دقيقة، وكما تعرف جودة الدينار بالقياس إلى غيره فإن تخلف عنه في الحمرة والصفاء، وباقي الصفات علم أنه مغشوش، كذلك يقاس صحة الحديث بعدالة ناقله وأن يكون كلاما يصلح أن يكون من كلام النبوة، ويعلم سقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته<sup>(٢)</sup> كما قال بعض العلماء.



---

(١) الباعث الحديث لابن كثير تعليق الشيخ أحمد شاكر ص ٨٣.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ص ٣٥١.

## ابن خزيمة

### نسبه ونشأته:

هو محمد بن إسحق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر إمام الأئمة أبو بكر السلمى النيسابورى ولد فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعنى منذ حدثه بالحديث وسمعه فى صغره بنيسابور، ونشأ منذ طلبه العلم يستلهم الجانب الروحى. قيل لابن خزيمة يوماً: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» وإنى لما شربت ماء زمزم سألت الله علماً نافعاً<sup>(١)</sup> وكان يقوم بالسنة تطبيقاً وعملاً، فعاش زاهد ورعاً، استمد قدوته الحسنة من الرسول ﷺ فهو يحب التيامن فى كل شىء تأسيا بالنبى ﷺ، قال الحاكم: سمعت أبا عمرو بن إسماعيل يقول: كنت فى مجلس ابن خزيمة فاستمد مدة فناولته بيسرى إذ كانت يمينى قد اسودت من الكتابة، فلم يأخذ الطلب وأمسك، فقال لى بعض أصحابه لو ناولت الشيخ بيمينك فأخذت القلم بيمينى، فناولته فأخذ منى. فنرى هنا أن ابن خزيمة قد أمسك أن يأخذ القلم من يسار أبى عمرو بن إسماعيل لأنه يحب التيامن فى كل شىء ولئن كان هذا الأمر هيناً، إلا أنه بالنسبة لابن خزيمة عظيم لأنه يقتدى فى كل شىء بصاحب السنة عليه الصلاة والسلام، ولقد تنبأ له معاصروه بالمكانة العلمية الجليلة وبإحيائه لسنة النبى صلوات الله وسلامه عليه. قال أبو بشر القطان: رأى جار لابن خزيمة من أهل العلم كأن لوحاً عليه صورة نبينا محمد ﷺ وابن خزيمة يصقله فقال المعبر: هذا رجل يحيى سنة رسول الله ﷺ.

ومن صفات ابن خزيمة ومحامده التى تحلت نشأته بها أنه كان جواداً، بلغ فى الكرم درجة عالية فلم يدخر شيئاً وكان ينفق على أهل العلم والفقراء.

### حياته العلمية:

كانت حياة ابن خزيمة العلمية تتسم بطابع الجد والاجتهاد وكانت ثروته العلمية الهائلة مورداً للقريب والبعيد وهو قبلة للعلماء والعلم الذى يأتى به الهداة المخلصون.

(١) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١١٠، ١١١، ١١٨.

### شيوخه وتلاميذه:

سمع من شيوخ كثيرين منهم: إسحق بن راهويه، ومحمد بن حميد الرازي. ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما في الصغر، ولكن حدث عن محمود بن غيلان، ومحمد بن أبان المستملي وإسحق بن موسى الخطمي وعتبة بن عبدالله المحمدي وعلي بن حجر وأبي قدامة السرخي وأحمد بن منيع وبشر بن معاذ وأبي كريب وعبد الجبار بن العلاء ويونس بن عبد الأعلى ومحمد بن أسلم الزاهد والزعفراني، وهصر بن علي الجهضمي، وعلي بن خشرم وغيرهم. وفي سبيل تحصيل العلم وتدوين الحديث النبوي عن الشيوخ قام ابن خزيمة برحلات علمية إلى الري وبغداد والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط. وقد روى عنه من الأئمة الكبار للبخاري ومسلم خارج الصحيح ومحمد بن عبدالله بن عبد الحكم شيخه وأبو عمرو وأحمد بن المبارك والمستملي وإبراهيم بن أبي طالب. وهؤلاء أكبر منه، ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو علي النيسابوري وإسحق بن سعد النسوي وأبو عمرو بن ضدان، وأبو حامد أحمد بن محمد بالويه وأبو بكر أحمد بن مهران المغربي ومحمد بن أحمد بن علي بن نصير العدل وحفيده محمد بن الفضل بن محمد بن إسحق وخلائق<sup>(١)</sup>.

### ضبطه وتحريه:

وكان ابن خزيمة شديد التحري والضبط للحديث حتى ليتوقف في التصحيح لأدنى كلام يقال في الإسناد، روى الحاكم عن ابن العباس بن شريح أنه قال فيه أنه يخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش وهذا كناية عن دقته الفائقة في الاستنباط وتحريه الشديد في فقه الحديث. وكان متقناً في هذه الناحية وهي حفظ الفقهيات من حديثه - غاية الإتقان، وقال أبو علي الحافظ كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة كما كان حافظاً للسند والتمن حفظاً جيداً، قال ابن حبان لم أر مثل ابن خزيمة في حفظ الإسناد والتمن<sup>(٢)</sup> فهو إذا قد جمع بين حفظ السند والتمن وحفظ الفقهيات من الأحاديث وإنها لمقدرة فذة استحق بها أن يلقب بإمام الأئمة. وقال أبو بكر بن بالويه سمعت ابن

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١١٠.

(٢) مرآة الجنان لليافعي ج ٢ ص ٢٦٤.

خزيمة يقول: كنت عند الأمير إسماعيل بن محمد فحدث بعضهم فوهم وهم في إسناده فرددته عليه فلما خرجت من عنده قال أبو ذير القاضى: قد كنا نعرف ما إذا كان الحديث خطأ منذ عشرين سنة فلم يقدر واحد منا أن رده عليه، فقلت له لا يحل أن أسمع حديث رسول الله ﷺ فيه خطأ أو تحريف فلا أرد. وكانت معرفته فائقة بمختلف الحديث روى عنه أنه قال: لا أعرف أنه روى عن النبي ﷺ حديثا بإسنادين صحيحين متضادين فمن كان عنده فليأتن لأولف بينهما<sup>(١)</sup>.

قال الحاكم فى كتابه علوم الحديث إن مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل. والمسائل المصنفة مائة جزء وله فقه بريرة فى ثلاثة أجزاء وكتابه الصحيح وهو أجل الكتب وأنفعها ومن مؤلفاته كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب وكتاب الفقه. وهكذا كانت مؤلفاته وعلمه فقد بلغ رتبة الاجتهاد وإن كان يذكره المؤلفون فى طبقات الشافعية روى عنه أنه قال:

ما قلدت أحدا منذ بلغت ستة عشر. وكان يرى رأى السلف فى الصفات والقرآن وإن كان لم يسلم من تقول المفتريين عليه وقد كذبهم فيما يدعون عليه<sup>(٢)</sup>.

وقد نسب إليه المشبهة والملاحدة أمورا هو منها برىء وذلك واضح فى كتبه وفى كلامه. قال أبو عاصم: قال ابن خزيمة فى معنى قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» فيه سبب وهو أن النبى ﷺ رأى رجلا يضرب وجه رجل، فقال: «لا تضرب على وجهه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته» وكون الضمير عائدا على رجل مضروب قاله غير ابن خزيمة أيضا، ولكنه من ابن خزيمة شاهد صحيح على أنه برىء عما ينسب إليه المشبهة وتفغريه عليه الملاحدة<sup>(٣)</sup>. ولقد كان فى كل حياته لا يصدر إلا عن عبادة سليمة، وتقوى من الله يستلهم الجانب الروحى فى كل شئونه، قال أبو عثمان الحيرى: حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنف الشئ دخلت فى الصلاة مستخيرا حتى يقع لى فيها، فهو إذن كان على جانب كبير من الصلاح والورع مما دفع أبا عثمان الزاهد إلى القول فيه «إن الله يدفع البلاء عن أهل نيسابور بابن خزيمة» وبعد حياة حافلة ممتلئة توفى إمام الأئمة ابن خزيمة سنة إحدى عشر وثلاثمائة<sup>(٤)</sup>.

(١) طبقات الشافعية ج ٣ ص ١١٠، مقدمة ابن الصلاح ص ١١٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٦٤. أعلام المحدثين ص ٢٩٦ للدكتور محمد أبى شهبه.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١١٩.

(٤) مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٦٤، مقدمة تحفة الأحوذى ص ١٥٠.

## الإمام الدارمي

### نسبه ونشأته:

هو الإمام عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي، أبو محمد السمرقندي الحافظ الدارمي. ولد سنة إحدى وثمانين ومائة، وعرف منذ نشأته بالثقة والصدق والورع والذكاء، كما كان يضرب به المثل في الديانة والعلم والاجتهاد والعبادة. قال فيه أبو حاتم: «ثقة صدوق» وعرف بالزهد، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل، عرضت عليه الدنيا فلم يقبل. وهكذا نرى آراء الأئمة فيه تشهد بنشأته الطاهرة، وعلمه الجم، وزهده وورعه، قال فيه أبو حاتم بن حيان «كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين، ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدث، وأظهر السنة في بلده ودعا إليها». وقال فيه الخطيب: كان أحد الحفاظ الرحالين موصوفا بالثقة والورع والزهد استقضى على سمرقند فقضى قضية واحدة ثم استعفى فأعفى. إلى أن قال: وكان غاية في العقل وفي نهاية الفضل، وقال فيه ابن أبي حاتم عبدالله بن عبد الرحمن إمام أهل زمانه<sup>(١)</sup> وهذا يدل على مكانته الجليلة، ونشأته العلمية التي اتسمت بعظائم الأمور ومكارم الأخلاق.

### حياته العلمية:

ذكر الحافظ الذهبي الدارمي في تذكرة الحفاظ - من الطبقة التاسعة التي ذكر فيها الأئمة وهم: الذهلي ومحمد بن مسلم، وعبد الرحمن بن حميد والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم وابن دارة ويعقوب بن شيبه ومسلم وأبو داود وغيرهم. وقد برع الإمام الدارمي في علم الحديث حتى بذ أقرانه، وألف «التفسير» و«الجامع» و«المسند» وهو المسمى بالسنن. وكان الدارمي أحد الحفاظ الرحالين الذين شهد لهم العلماء بالحفظ والإتقان والدفاع عن السنة النبوية. قال فيه محمد بن إبراهيم بن منصور الشيرازي: «كان على غاية من العقل والديانة، ممن يضرب به المثل في الحكم والدراية والحفظ والعبادة والزهد أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند، وذب عنها الكذب وكان مفسرا كاملا وفقهيا عالما»<sup>(٢)</sup>.

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٣٥ مقدمة تحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٥٩.

(٢) مقدمة تحفة الأحوذى ص ٤٦٠، ج ١، مقدمة سنن الدارمي ص ٥.

## شيوخه وتلاميذه:

سمع الدارمى النضر بن شميل، ويزيد بن هارون، وسعيد بن عامر الضبعى وجعفر بن عون، ويحيى بن حسان، وأبا نعيم ووهب بن جرير وطبقتهم بالحرمين وخراسان والشام والعراق ومصر.

ومن تلاميذه الذين رووا عنه: مسلم وأبو داود والترمذى، والبخارى فى غير الجامع، ومطيلين وجعفر الفريابى وعبدالله بن أحمد بن حنبل وعيسى بن عمر العباس السمرقندى وآخرون. وقال أبو حاتم الرازى، (محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم، ومحمد بن أسلم أورعهم وعبدالله بن عبد الرحمن أثبتهم) فهو إمام حافظ متثبت بشهادة كبار الأئمة. ومن أعمال الدارمى العلمية ومصنفاته النفيسة كتابه «السنن».

## سنن الدارمى:

وكتاب السنن للدارمى كتاب جليل القدر، وله وزنه العلمى بين كتب الحديث المدونة فى القرن الثالث الهجرى. وقد عدّه ابن الصلاح فى المسانيد، وانتقد فى ذلك لأنه مرتب على الأبواب لا على المسانيد، وإنما أطلق عليه بعض العلماء اسم المسند لكون أحاديثه مسندة كما سُمى الإمام البخارى كتابه (المسند الجامع) فتسميتها بالمسند فيه تجوز، ويرى ابن حجر أن سنن الدارمى ليس دون السنن فى المرتبة، بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من سنن ابن ماجه، فإنه أمثل منه بكثير. بل إن بعض المحدثين سماه (الصحيح) وهى تسمية فيها تجوز أيضا.

وفى سنن الدارمى كثير من الصحيح اتفق عليه الشيخان، أو البخارى، أو مسلم أو على شرطهما أو شرط أحدهما.

وفيه كثير من الأحاديث الحسنة، وتوجد فيه بعض الأحاديث المنكرة أو الشاذة وهى نادرة جدا وكذا الأحاديث المرسله والموقوفة، ولكنها تقوى أحيانا أيضا لمجيئها من طرق أخرى تعضدها. ومثال الحديث الموقوف فى سنن الدارمى. ولكن جاء من طرق أخرى تعضده حديث أخرجه الدارمى فى كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن: حدثنا أبو عامر بن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى الأحوص، وعن عبدالله قال: «تعلموا هذا القرآن فإنكم تؤجرون بتلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنى لا أقول بآلم، ولكن بألف، ولام وميم بكل

حرف عشر حسنات»<sup>(١)</sup> وهذا الحديث موقوف على عبدالله بن مسعود، وقد روى نحوه الترمذى مرفوعاً، وقال: (حسن صحيح غريب) وهو قطعة من حديث طويل رواه الحاكم عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عنه مرفوعاً وقال من تفرد به صالح بن عمر عنه، وهو صحيح. وكتاب السنن للدارمى يعتبر من كتب السنة القيمة، واشتمل على الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وهو مرتب على الأبواب وهذا الكتاب يعتبر من أهم أعمال الدارمى فى مجال السنة النبوية مما يشهد له بالفضل. قال أبو حامد الشرقى: (إنما خرجت خراسان من أئمة الحديث خمسة رجال: محمد بن يحيى، ومحمد بن إسماعيل، وعبدالله بن عبد الرحمن، ومسلم بن الحجاج وإبراهيم بن أبى طالب).

وقد عاش الدارمى أربعاً وسبعين سنة، حفلت بعظائم الأمور، وبالأعمال العلمية المباركة وتوفى بعد عصر يوم التروية الثامن من ذى الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين ٢٥٥ هـ، ودفن فى اليوم الثانى يوم عرفة فى بلدة «مرو»<sup>(٢)</sup>.

### مثال لما رواه الدارمى وطعن فيه والدفاع عنه

حدثنا إبراهيم بن المنذر ثنا إبراهيم بن المهاجر بن المسمار، عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبى هريرة، قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا<sup>(٣)</sup>.

وهذا الحديث قال عنه ابن حبان موضوع وإبراهيم بن المهاجر منكر الحديث متروك. وقال السيوطى: ابن معين ثقة، وقد أخرج هذا الحديث ابن أبى عاصم فى السنة وابن خزيمة فى التوجيه، والبيهقى فى شعب الإيمان. وقال الحافظ بن حجر فى أطراف العشرة: زعم ابن حبان، وتبعه ابن الجوزى أن هذا المتن موضوع، وليس كما قالوا، فإن مولى الحرقة هو عبد الرحمن بن يعقوب من رجال مسلم والراوى عنه وإن كان متروكاً عند

(١) سنن الدارمى ج ٢ ص ٣٠٨ بتحقيق السيد عبدالله هاشم يمانى.

(٢) تهذيب ج ٥ ص ٢٩٥، مقدمة تحفة الأحوزى ج ١ ص ٤٥٩، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥، الكمال فى أسماء الرجال مخطوط بدار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٠٣.

(٣) أخرجه الدارمى ج ٢ ص ٣٢٧ بتحقيق السيد عبدالله يمانى ورواه الطبرانى فى الأوسط وفيه إبراهيم بن مهاجر ضعفه البخارى بهذا الحديث. ووثقه ابن معين.

الأكثر ضعيفا عند البعض فلم ينسب للوضع والراوى عنه لا بأس به ، وإبراهيم بن المنذر من شيوخ البخارى وقد أخرجه الطبرانى فى الأوسط، وقال: لا يروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به إبراهيم بن المنذر، وله طريق آخر عن أنس أخرجه الديلمى<sup>(١)</sup>.



---

(١) اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٦.

## الإمام بقى بن مخلد

ومن أعلام القرن الثالث الهجرى علماء لم يكونوا شيوخا للأئمة الستة ولكنهم اضطلعوا بمهام علمية وجهود ضخمة فى ميدان الحديث ومن أشهر هؤلاء: الإمام الحافظ<sup>(١)</sup> بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبى الأندلسى، صاحب المسند الكبير والتفسير العظيم ولد بقى فى رمضان سنة إحدى ومائتين.

### نشأته:

ونشأ هذا الإمام الجليل ببلاد الأندلس ذات الطبيعة الساحرة والمناظر الخلابة ونشأ بها فى عهدها الزاهرة التى ازدهرت فيها الثقافة والعلوم من تفسير وحديث وفقه وطب وفلسفة وغير ذلك.

وقد ررفت راية الإسلام على هذه البلاد وازدهرت حضارته بها زهاء ثمانية قرون ظلت الأندلس فيها كعبة القصاد، وحظى الحديث النبوى بحظ وافر من هذه النهضة العلمية فبرز فيه من العلماء النابغين كثيرون من أشهرهم هذا الإمام الجليل الذى نشأ محبا للعلم متواضعا عابدا، زاهدا خيرا مجاهدا فى سبيل الله، خرج مع المجاهدين فى غزوات كثيرة فضم إلى العلم العمل وشارك فى حياة الوطن الإسلامى والذود عن حياضه وعانى أول أمره فى سبيل طلب العلم كثيرا فتحمل من عناء السفر وشظف العيش ما تحمل قال عنه الإمام الذهبى: «كان إماما عابدا متهجدا أوها عديم النظير فى الزمان».

### حياته العلمية:

طوف الإمام بقى بن مخلد فى البلاد الإسلامية شرقا وغربا، وقام بعدة رحلات علمية كان لها أكبر الأثر فى خصوبة حياته العلمية، فرحل إلى مصر وسمع من يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة، ورحل إلى دمشق وسمع بها من إبراهيم بن هشام الغسانى، وصفوان ابن صالح وهشام بن عمار وجماعة ورحل إلى بغداد وسمع الإمام الأيلى وطبقته وإلى الكوفة وسمع يحيى بن عبد الحميد بن أنس وأبا بكر بن أبى شيبعة وطائفة ورحل إلى البصرة وسمع أصحاب حماد بن زيد وسمع كثيرا من الشيوخ الذين بلغ عددهم مائتين وثلاثين شيخا.

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب المجلد الثانى ص ٥١٨ للتلمسانى ط بيروت.

وأما تلاميذه: فقد سمع منه وروى عنه كثيرون منهم شيخه يحيى بن بكير وهذا ما يشهد له بعلو المكانة في الحديث، ورسوخ القدم في ميدانه، وقال بقى لما رجعت من العراق أجلسني يحيى بن بكير وسمع مني سبعة أحاديث، ومن تلاميذه ابنه أحمد، وأحمد ابن عبدالله بن عبد الله الأموي، وعبدالله بن يونس، وأسلم بن عبد العزيز، والحسن بن سعيد... وغيرهم.

وكان إلى جانب علمه بالحديث عالما بالفقه مجتهدا يستنبط الأحكام، ولا يقلد أحدا، مما يشهد له بسعة أفقه، وشخصيته العلمية المستقلة.

### مؤلفاته:

ولالإمام بقى بن مخلد مؤلفات من بينها: (كتاب التفسير) وقد أثنى ابن حزم على هذا الكتاب فقال: أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره، ولا تفسير محمد ولا غيره<sup>(١)</sup>. ومن مؤلفاته «كتاب المسند» وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين أربى فيه على مصنف ابن أبي شبية وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور.

### منهج بقى بن مخلد في المسند

يقوم منهجه في المسند على تدوين الأحاديث بطريقة المسانيد وطريقة الأبواب فجمع بين الطريقتين وذلك أنه روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ورتب أحاديث كل صاحب على أبواب الفقه ومسائل الأحكام فهو مسند ومصنف. وقد فضله ابن حزم على مسند الإمام أحمد بن حنبل ولكن ابن كثير عارض في هذا التفضيل وقال: «الظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع». وأرى أن هذه الآراء هي آراء استظهارية لا تقوم على أساس من النقد العلمي الصحيح. لعدم وجود كتاب الإمام بقى بن مخلد.

وعدد أحاديث مسند الإمام أحمد أربعون ألف حديث، وأما مسند الإمام بقى فعدد أحاديثه التي نسبها ابن الجوزي للصحابة فيه ٣١٠٦٤ حديثا. قال الأستاذ أحمد شاکر: لقد جمعت عدد الأحاديث التي نسبها ابن الجوزي للصحابة في مسند بقى فكانت ٣١٠٦٤

(١) نفع الطيب ج ص ١٥٩، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٠.

حديثا وهذا يقل عن مسند أحمد أو يقاربه. وذكر ابن الجوزي أن عدد أحاديث أبي هريرة ٥٣٧٤، وفي مسند أحمد ٣٨٤٨ حديثا وهذا العدد في مسند أحمد يكثر فيه المكرر، وأما العدد الحقيقي بدون المكرر بالنسبة لأحاديث أبي هريرة في مسند أحمد فهو ١٥٧٩ حديثا فقط، فهل معنى هذا أن الإمام أحمد فاته هذا العدد الكبير؟  
والذى أرجحه هو أن الإمام بقى بن مخلد كان يجمع الحديث على طريقة المسند بالنسبة لكل صحابي وعلى طريقة التبويب كذلك فلعله كان يقطع الحديث في أبوابه على نحو ما فعل البخارى في صحيحه، وأنه أيضا كان يكرر الأحاديث<sup>(١)</sup>.

### تعصب بعض حاسديه عليه

كان محمد بن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقى بن مخلد الأندلس بمصنف ابن أبى شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من بعض حاسديه ما فيه من الخلاف. واستبشعوه وقام جماعة من العامة ومنعوه من قراءته فاستحضره الأمير محمد وتصفح الكتاب جزءا جزءا حتى أتى على آخره ثم قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغنى عنه خزانتنا فانظر فى نسخة لنا وقال لبقى انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له. وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين<sup>(٢)</sup>.



(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ٥٦، الباعث الحديث ص ١٨٨.

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٥١٩، تاريخ الأدب ج ٣، ص ٢٠١.

## محمد بن جرير الطبري

### نسبه ونشأته:

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بطبرستان، وقيل في آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين. وقد تفانى ابن جرير الطبري في طلب العلم والتأليف حتى مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة<sup>(١)</sup>. وكان زاهدا قانعا مترفعا عن الدنيا، وأعانته على ترفعه ما تركه له أبوه في طبرستان من ضيعة كان ينفق ما يستغله منها على نفسه وأهله وطلابه. وقد روى عنه بعض أبيات أنشدها ربما تمثل بعض سمات حياته.

إذا أعسرت لم يعلم رفيقي      وأستغنى فيستغنى صديقي  
حيائي حافظ لى ماء وجهي      ورفقى فى مطالبتي رفيقي  
ولو أنى سمحت ببذل وجهي      لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وهذه الأبيات تؤيد ما عرف عنه من زهد وقناعة وكرم وحياء وورع، وعاش الطبري حياته عفيفا شغل بطلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة وظهرت عليه مخايل الذكاء والنبوغ من صغره فعهده به والده إلى علماء (آمل) عاصمة إقليم طبرستان. ومما يدل على قوة حافظته ونبوغه المبكر أنه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين.. وكتب الحديث وهو في التاسعة<sup>(٢)</sup>.

### محنته:

تعرض الإمام الطبري في حياته إلى محنة من عوام الحنابلة والجهلة المنتسبين إلى المذهب الحنبلي كذلك بسبب ما قاله الطبري في الإمام أحمد بن حنبل إنه رجل حديث لا فقه، وعندما ألف الطبري كتابه (اختلاف الفقهاء) ذكر فيه كثيرا من الفقهاء مثل أبي حنيفة والشافعي ومالك والأوزاعي وغيرهم ولكنه أغفل ذكر الإمام أحمد بن حنبل ومن أجل هذا تحرش به بعض الحنابلة فبدأ بعضهم بالتعصب عليه، كالجصاص والبياض وجعفر بن

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧٧ تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٣، لسان الميزان ج ٥ ص ١٠٢، معجم الأدباء ٤٩/١٨.

عرفة ثم قصده بعضهم عندما كان فى المسجد فى يوم الجمعة وسأله سؤاليين :

الأول : عن إمامهم أحمد بن حنبل.

والثانى : عن حديث الجلوس على العرش.

فقال الطبرى : أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه ، قالوا : قد ذكره العلماء فى الاختلاف .

قال : ما رأيته روى عنه ولا رأيت له أصحابا يعول عليهم ، وأما أحاديث الجلوس على العرش فمحال وأنشد :

سبحان من ليس له أنيس ولا له فى عرشه جليس

فلما سمعوا إجابته غضبوا واتهموه بأنه رافضى ، وأذوه ، وحالوا بين الناس وبين الانتفاع بعلمه . ولعل السبب فيما أثير حول الطبرى بأنه رافضى راجع إلى أنه ألف فى فضائل سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وقالوا عنه إنه كان يقول بالمسح على القدمين وهو قول رافضى وقيل إنه يقول بالمسح والغسل معا .

والحقيقة أن هذا ناشئ من عدم فهم مراده ، ذلك أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما ولكنه عبر عن ذلك بالمسح ، فلم يفهم بعض الناس مراده ومن فهم مراده نقل عنه أنه يوجب الغسل والمسح «.. أى الدلك ..» .

وأما كونه قد ألف فى فضائل سيدنا على فلا يعنى أنه رافضى فشتان بين ذلك وبين ذكره للفضائل ، وهذا الذى أثير حوله راجع إلى حقد بعض العوام المقلدين ، وسوء فهم آرائه فلقد كان من أئمة الإسلام والعاملين بالكتاب والسنة .

### حياته العلمية:

عاش الطبرى حياة مثمرة ، فكان إماما فى فنون كثيرة ، منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات عديدة تدل على سعة علمه ، فهو إمام مجتهد ثقة فى نقله ذكره الشيخ أبو إسحق الشيرازى فى طبقات الفقهاء فى جملة المجتهدين .

وقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات بصيرا بالمعانى ، فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها ، ناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى الأحكام وعارفا بأيام الناس وأخبارهم<sup>(١)</sup> .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧٧ ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢ .

## شيوخه وتلاميذه:

قام الطبرى برحلات علمية تلقى خلالها العلم والحديث من كبار الشيوخ فبدأ بالرى وما جاورها ليأخذ الحديث عن محمد بن حميدة الرازى والمثنى بن إبراهيم الأيلى كما درس التاريخ فى هذه المنطقة على محمد بن أحمد بن حماد الدولابى، ويقال إنه كتب عن ابن حميد أكثر من مائة ألف حديث كما درس عليه التفسير أيضا واتجه إلى البصرة وسمع من محمد بن موسى الخرشى، وعماد بن موسى القزاز ثم اتجه إلى واسط والكوفة والشام ومصر حيث درس فقه الشافعى على الربيع بن سليمان المرادى وإسماعيل بن إبراهيم المزنى ومحمد بن عبدالله بن الحكم ودرس فقه مالك على تلاميذ ابن وهب كما سمع الطبرى أيضا من محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب وأحمد بن منيع البغوى.

ومن تلاميذه الذين رووا عنه: أحمد بن كامل القاضى ومحمد بن عبدالله الشافعى وخالد ابن جعفر. ومنهم شعيب الحرانى وعبد الغفار الخصبى وأبو عمرو بن حمدان ومنهم ابن الحداد وأبو مسلم الكجى وغيرهم ممن تتلمذوا عليه فى العراق وانتهجوا منهجه<sup>(١)</sup>.

## مؤلفاته:

وقد آتت حياته العلمية أكلهما فكانت له مؤلفات نفيسة كثيرة منها:

١- كتاب التفسير الكبير، الذى قال فيه الإمام أبو حامد الإسفرايينى: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا. وهو كتاب جليل من أجل كتب التفسير بالمأثور وأصحها، وذكر فيه ما يثبت عن النبى ﷺ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ووجه الأقوال ورجح بعضها على بعض كما ذكر فيه الكثير من وجوه الاستنباط واللغات والاستشهاد بالشعر على بعض ما فى الألفاظ.

٢- كتاب تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله ﷺ، قال فيه الخطيب البغدادى: وله كتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه فى معناه إلا أنه لم يتمه. وقد ابتدأ بما رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما صح عنده بسنده وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم فتم به مسند العشرة أهل البيت والموالى ومن مسند ابن عباس قطعة كبيرة ومات قبل تمامه وهو موجود بمكتبة الآستانة.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١٣٦، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢، الطبرى: للدكتور الحوفى ص ٨٧.

- ٣- تاريخ الأمم والملوك.
  - ٤- كتاب القراءات.
  - ٥- تاريخ الرجال.
  - ٦- التبسيط في الفقه.
  - ٧- التبصير في أصول الدين.
  - ٨- كتاب اختلاف العلماء.
  - ٩- الفضائل.
  - ١٠- أحكام شرائع الإسلام.
- وغير ذلك من المصنفات النفيسة.

#### وفاته :

توفي الطبري يوم السبت ، ودفن يوم الأحد بالغدادة في داره لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ، وقال ابن خلكان : والصحيح أنه دفن ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في تاريخه وهذا هو الرأي الصحيح<sup>(١)</sup>.



---

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢ مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٦١ ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٢١ .

## محمد بن سعد كاتب الواقدي

### نسبه ونشأته<sup>(١)</sup>:

هو الإمام المؤرخ الثقة أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري الهاشمي ولاء لأن أحد أجداده كان مولى للحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي. ولد بالبصرة سنة ١٦٨ هـ، ولهذا نسب إليها فقيول ابن سعد البصري وكان ابن سعد محل رضا الرواة، وحيث لم يلبس الفتن الهوجاء في عهد المأمون وبعده، فأمكنه نشر علمه، وعلم أستاذه، وبقيت كتبه محفوظة مقبولة عندهم.

وعرف ابن سعد بكاتب الواقدي، لأنه صحبه زمانا، وكتب له فعرف به. وتردد المحدثين في قبول أخبار الواقدي ليس له أثر كبير فيها يتعلق بابن سعد، فإن أكثرهم قالوا: ثقة مع أن إسناده ضعيف وإذا كان ابن سعد ألف كتبه من تصنيفات الواقدي ولم ينس ذكر اسم شيخه في سلسلة الإسناد، إلا أنه كان يغربل الرواية التي يرويها له، أو يؤيدها برواية أخرى لغيره.

### حياته العلمية:

كان ابن سعد ذا مكانة علمية، فعرف له العلماء فضله ومنزلته جمع كثيرا من العلم وروى عن كثير من الشيوخ لاسيما الواقدي. يقول أحمد بن كامل القاضي: قال لي محمد بن موسى: الذين اجتمعت عندهم كتب الواقدي أربعة أنفس: محمد بن سعد كاتب الواقدي أولهم.

### شيوخه وتلاميذه:

ومن شيوخه محمد بن عمر بن واقد الواقدي وهو الذي صحبه ولازمه كثيرا، كما روى أيضا عن سفيان بن عيينة وإسماعيل بن عليّة، ويزيد بن هارون الواسطي، وعبيد الله بن موسى العيسى، وهيثم والوليد بن مسلم وأبي الوليد الطيالسي وغيرهم من شيوخ الرواية بالبصرة والكوفة وواسط وبغداد ومكة المكرمة والمدينة والشام واليمن ومصر وغيرها.

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٤٢، الرسالة المستطرفة ص ١٣٨، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٠.

### ومن تلاميذه الذين رووا عنه :

أبو بكر بن أبي الدنيا وأبو محمد الحارث بن أبي أسامة التميمي، والحسين بن فهم راوية الطبقات الكبرى عن ابن سعد، وهو الذي قال عن شيخه كان كثير العلم، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب.

### منزلته:

وقد جرح بعض العلماء ابن سعد، وعدله الأكثرون، وقال الحسين بن فهم كنت عند مصعب الزبيري فمر بنا يحيى بن معين، فقال له مصعب: يا أبا زكريا حدثنا محمد بن سعد الكاتب بكذا وكذا، وذكر حديثا، فقال له يحيى: كذب. وقال أبو بكر الخطيب معلقا على ذلك: ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته، ولعل مصعبا الزبيري ذكر ليحيى عنه حديثا من المناكير التي يرويها الواقدي فنسبه إلى الكذب<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي حاتم الرازي سألت أبي عن محمد بن سعد، فقال: (يصدق) جاء إلى القواريري وسأله عن أحاديث فحدثه، وقال إبراهيم الحربي: كان أحمد بن حنبل يوجه في كل جمعة بحنبل بن إسحق إلى ابن سعد يأخذ منه جزءين من حديث الواقدي ينظر فيها إلى الجمعة الأخرى ثم يرددهما ويأخذ غيرهما قال إبراهيم ولو ذهب سمعهما كان خيرا له. وقد سبق بيان أنه كان يغربل الرواية التي يذكرها عن شيخه الواقدي ويعضدها بغيرها. ومما سبق يتضح لنا أن المعدلين لابن سعد عدد كثير، وأن له مكانته العلمية التي استحق بها كل إكبار وتعظيم.

وقد رحل ابن سعد رحلات علمية إلى المدينة والكوفة وبغداد، وفي بغداد لزم الواقدي، ولم ينسب إليه في كتب التراجم إلا ثلاثة مؤلفات:

١- الطبقات الكبرى.

٢- الطبقات الصغرى.

٣- أخبار النبي ﷺ.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٩، تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٢٢.

والواقع أن كتاب (الطبقات الكبرى) يحتوى على ما يحتوى عليه الكتابان الآخران، وحسبه فى التصنيف كتاب «الطبقات الكبرى» الذى يدل على تضلعه فى العلم، ورسوخ قدمه فى كثير من فنون المعرفة والتاريخ.

## كتاب الطبقات الكبرى

كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد من أوائل ما ألف فى هذا الموضوع ولعله لم يسبقه فى هذا المجال إلا طبقات الواقدي، وكان لكتاب ابن سعد أثره فى التأليف التى جاءت بعده. ومصادر كتابه نوعان: الأول: المشافهة والسماع. والثانى: الكتابة. ولم يقتصر ابن سعد على الإفادة من طبقات الواقدي، وإنما استقى معلومات من كتبه الأخرى، كما استجد بعض فصول لم يجد فيها لشيخه رواية مثل ذكر كنية رسول الله ﷺ، وما كان رسول الله ﷺ يعوذ به ويعوذه به جبريل، وأنساب الجاهليين، وسير الأنبياء والأمم السابقة التى اتضح أن الواقدي لم يحتفل بها كثيرا.

وقد استهدف كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد خدمة السنة النبوية فتحدث فيه عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين إلى عصره وجعل الجزئين الأولين لسيرة الرسول ﷺ، وبعد أن انتهى فى أكثر الجزئين من السيرة النبوية العاطرة، عقد فصلا للمفتين بالمدينة فى العهد النبوى، ثم ترجم للصحابة والتابعين فشغل سائر الأجزاء بذلك وخصص آخر جزء للنساء<sup>(١)</sup>.

## منهج ابن سعد فى كتاب الطبقات

لاحظ ابن سعد فى تراجمه عنصرين:

الأول: عنصر الزمان والثانى: عنصر المكان.

أما عن الأول وهو عنصر الزمان، فقد كان يراعيه فى سائر الطبقات من أولها إلى آخرها، وجعل نقطة البدء فيما يتصل بالزمان هى: (السابقة إلى الإسلام) ثم (موقعة بدر) ولذا بدأ بالمهاجرين البدريين، ثم بالأنصار البدريين ثم بمن أسلم قديما ولم يشهد (بدر) وإنما هاجر إلى الحبشة أو شهد أحدا ثم بمن أسلم قبل فتح مكة، ثم من أسلم بعد فتح مكة.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد تقديم الأستاذ إحسان عباس ص ١٠ ط بيروت، علوم الحديث ومصطلحة الدكتور صبحى الصالحى ص ٣٤٣ الحديث والمحدثون ص ٣٥٠.

وأما الثانى: وهو عنصر المكان، فترجم للصحابة رضوان الله تعالى عليهم على حسب الأمصار التى حلوا فيها، فسمى من كانوا بالمدينة أو مكة، أو الطائف أو اليمن أو اليمامة، ومن نزلوا الكوفة، ومن نزلوا البصرة، ومن فضلوا المقام بالشام أو مصر، كما لاحظ هذا المنهج كذلك بالنسبة لتراجم التابعين رضى الله عنهم.

والطبقة فى كتاب ابن سعد تساوى عشرين سنة تقريبا، ولكن هذا التقسيم الذى اتبعه ابن سعد فى منهجه كان له عيب واضح فى الكتاب، فقد يكون أحد الرجال داخلا فى غير موضع واحد فى هذا المنهج، بمعنى أن يكون مثلا بدرىا ممن يفتى أيام الرسول ﷺ، ثم هاجر إلى مصر من الأمصار، وعلى هذا فلا بد له من ثلاث تراجم، إلا أن ابن سعد تنبه لهذا العيب الذى لا مناص منه، فكان يطيل الترجمة فى موضعها الأسمى فى الطبقة الحقيقية بما فيه الكفاية ثم يمر فى الموضع الآخر عليها بإيجاز سريع.

وقد وجد من بين رواة ابن سعد رواة قلائل ضعفهم أهل الحديث وهم: هشام بن محمد ابن السائب الكلبى، والواقدى، وأبو معشر، والحقيقة: أن هشاما كان أوثق من أبيه، والواقدى كان محل ثقة عند فريق كبير من المحدثين.

وأكبر ما انتقده المحدثون على الواقدى، واتبعه فى ذلك تلميذه ابن سعد، هو جمع الأسانيد الكثيرة وإيراد متن واحد لها، وإدخال حديث الرجال بعضهم فى بعض مبتغيا بذلك الإيجاز إذا كثرت الروايات وتشابهت.

وأرى أن الطبقات الكبرى لابن سعد فيها الأسانيد المرسله، والمقطوعة بجوار الصحيحة الكثيرة، فهى لم تكن كلها فى درجة واحدة، ولعل الذى دعاه إلى ذلك هو أنه كان يهدف إلى استيفاء الموضوع الذى يكتب فيه فدون جميع ما ورد فى ذلك صحيحا أو مرسلا أو مقطوعا، وليس يصعب على أهل العلم استخلاص الصحيح فى الكتاب من غيره فذلك أمر سهل، ولئن كانت طبقات ابن سعد خالية من التعقيبات الكثيرة التى تظهر شخصية المؤلف، إلا أن ما يوجد فيها من التوضيحات اليسيرة تطلعنا على نقده العلمى الطيب الذى تميز به، فمثلا: يورد رواية خلاصتها: أن النبى ﷺ بكى عند قبر أمه لما فتح مكة فقال ابن سعد (وهذا غلط، وليس قبرها بمكة، وقبرها بالأبواء).

هذا وكتاب الطبقات لا يستغنى عنه محدث ولا فقيه ولا مؤرخ، ومن كتب بعده فى الرجال فقد استفاد الكثير منه وللكتاب روايتان: الأولى، رواية الحارث بن أبى أسامة لبعضه، والحسين بن فهم لبعضه الآخر كلاهما يرويه عن ابن سعد.

ولهذا الكتاب منزلة جلييلة بين العلماء، غير أنه أكثر فيه من الرواية عن الضعفاء، قال ابن الصلاح: وكتاب ابن سعد «كاتب الواقدي» كتاب كثير الفوائد، وهو ثقة غير أنه كثير الرواية فيه الضعفاء، وقد تبين ذلك مما سبق.

وتوفي ابن سعد يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين ببغداد، ودفن في مقبرة باب الشام، وهو ابن اثنين وستين سنة رحمه الله تعالى.

وهكذا وقفنا على جانب كبير من النهضة العلمية، والتي فجر بنابيعها الدافقة هؤلاء الأعلام، وجمع رحيقها الصافي الأئمة الستة الذين أشرقت كتبهم في سماء الهدى فأوجدت الجو العلمي العاطر والمناخ الصحي للسنة النبوية الشريفة.

وواضح أن هؤلاء الأعلام، قد حصلوا على ثناء كبير، وتقدير من الحفاظ المتقنين في عصرهم فكان هذا الثناء، وذلك التقدير بمثابة شهادات علمية عظيمة، فلئن كان في عصرنا هذا ترتفع مكانة الباحث بمقدار ما حاز من شهادات وما وصل إليه من تفوق في سلك دراساته حتى أهلتته كفاءته، ورشحته شهاداته إلى مكانة مرموقة وعمل عظيم فإن أولئك العلماء في عصرهم هذا كانت شهاداتهم بقدر كدهم وجدهم ورحلاتهم العلمية، التي يلتقون فيها مع العلماء اللامعين، والأئمة المتثبتين متنقلين من قطر إلى قطر بهمة قعساء لا تعرف الكلال، ولا تعوقها مشقة السفر ولا عناء الطريق، كما اتضح لنا من خلال الحديث عن نشاطهم وحياتهم العلمية فكان ثناء أئمتهم عليهم وأقوال علمائهم فيهم تعتبر أسمى الشهادات الصادقة، لصدورها من أهل الصدق والتوثيق.

